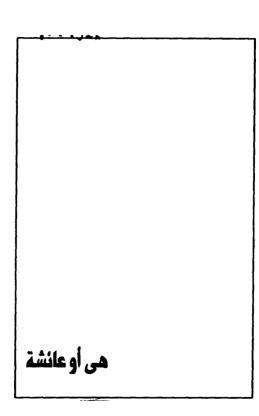
روائع الاد ب العالمي للناشئين

هى أو عائشة

تأليف: سيرهزى رايورهاجاره ترجمة: صلاح عزالدين





همر أوعائشة

تالیف: سیرهنری رایدرهاجارد

ترجمة: صلاح عز الدين مراجعة: مختار السويفي

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٨٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بريط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلمتنا المصينة وسلاحنا الماضى في مواكبة عصر المعلومات والمرفة.

د. سميرسرحان

مقدمية

يتميز الأديب الانجليزى العظيم «سير هنرى رايدر هاجارد» بالخيال الخصب والقدرة الفائقة على نسج الأحداث الميره ، وخلق الشخصيات الروائية ذات الجاذبية الشديدة .

واذا بدا القارىء فى قراءة السطور الأولى من اية.رواية من رواياته الشهيرة ، فلا يستطيع أن يبعد عينهه من السطور التاليسة ، ولا يستطيع أن يؤجل القراءة الى وقت آخر ، أو يتوقف عند فصل معين . . ولا يطلك الا أن يوامسل القراءة المبتعة حتى آخر كلمة ، مسحورا بالأسلوب البسيط الاسر ، وبالأحداث الملاحقة المهرة التي تأخلا الألباب .

وقد فطنت السينما المالية الى تلك الخاصسية الديناميكية التى يتمير بها « الحسدث » في إممال هذا الأدب القسدير ، فاخرجت معظم روايات في افسلام ضخصة حازت شهرة عالمية ، وما زالت تلقى نفس الرواج والاقبال اللي لاقته منذ انتاجها لأرل مرة منذ عشرات السنين .

ولد هنرى وابعد هاجارد فى برادنهام هول بمدينة نورفولك بانجلترا فى ٢٧ يونيو سنة ١٨٥٦، ومات فى لندن فى ١٤ مايو سنة ١٩٧٥ عن معر يناهز السبعين عاما، قضاها فى حياة حافلة بشتى المشاغل والهوايات .. فعن معارسة مهنة المحاماة الى تقلد الوظائف الحكومية ، الى معارسة حرفة الزراعة التى الفف فيها كتبا .. الى ان ادركت حرفة الإراعة الادب

قمارسها كهواية أبدع فيها مجموعة من الروايات الشهيرة التى صدرت منها عشرات الطبعات . . وأغلب الظن أنها ستجد طريقها الى المطابع مرات اخرى ومرات ، لتصدر بمختلف اللفات التى ترجمت اليها فى الماضى ، وستترجم اليها فى المستقبل .

ولذلك فلم يكن من الفريب أن نرى معظم رواياته الأدبية تدور احدائها في افريقيا . . ولم يكن غريبا الضا أن يؤلف كتابا عن أساليب وتاريخ الاستعمار في افريقيا . . وقد منح لقب « سير » في عام ١٩٣٥ تقديرا لخدماته للامبراطورية البريطانية .

ولمل أشهر رواياته التي يعرفها قراءة الأنب وأحبابه في مختلف أنحاء العالم روايات: « الفجر » ١٨٨٤ . . و « كثور الماك مسليعان » ١٨٨٥ . . و «هي أو عائشة » و « نجعة العباح » ١٨٨٧ . . . بالاضافة الى رواياته وكتبه الأخرى الأقل شهرة مثل « كيتويو وجيراف البيض » ١٨٨٧ . . و « أيريك برايتيس » ١٨٨٣ . . و « أبية مونتزوما » ١٨٨٠ . . و « سسوالو » و « شسعب الفسباب » ١٨٩٠ . . و « سسوالو » ١٨٨٨ . . و « الفقيقة » ١٩٢١ . . و « آلان المجوز » ١٩٢٠ . . و « الان المجوز » ١٩٢٠ . . و « المناسبة مثل المجوز » دارا عبة والسياسبة مثل « المجلتوا والزراعية والتاريخية والسياسبة مثل والزراعية » ١٩١١ . و حساب « الفقيح والأرض » و وتساب « الفقيح والأرض » و وتناسبل حياته الحافلة ، وقد صدير هذا الكتاب الخير سنة ١٩٢٦ أي بعد نحو عام من وفاته .

« رئيس التحرير »

(١) كيف وصلتني هذه القصة

كنت اسبر ، ذات يوم ، فى شارع فى مدينة كمبريدج ، مع صديق ، عندما لاحظت رجلين يتقدمان نحونا ، وقد تأبط احدهما نداع الآخر . . وكان الفتى فى الواقع اروع شاب رابته فى حيساتى ، طوله سستة اقدام ، ووجهه كامل الجمسال ، وعندما رفع قبعته

تحية لسيدة كانت تمر بجانبه ؛ رايت أن شعر رأســـه كان ذهـــا فاتحا .

وقلت لصديقي: يا له من رجل رائع المظهر . . :

واجعه: نم نم . . انه ابهى شاب فى الجامعة وواحد من افضلهم . . الآخرون يطلقون عليه اسم الأغرون يطلقون عليه اسم الإفسيسي » . ولكن انظر الى الرجل الآخر . . ان اسمه الحقيقى هو الهوالي » وهو مربى « فينسى » . وله الولاية على الشاب حتى يبلغ الخامسة والعشرين من العمر . . بعض النساس يطلقون عليهما اسم « الوحش والجمال » !

نظرت الى الرجل الأكبر سنا .. كان فى حوالى الأربعين من العمر ، قبيحا دميما ، بقدر ما كان الآخر جميلا رائعا .. كان قصيرا متين البنيان .. وكانت فراعاه بالفتى الطول .. وكان شعره داكنا وعيناه جد صقيرتين . واذا نظرت اليه خطر على بالك فورا قلك القرد الضخم المعروف باسم ((السعدان)) قصير

الليل قبيح المنظر . . الا ان شسيئًا ما في عينيه كان يجلبك اليه على الغور ويحبيك فيه .

قلت لصديقي: اني أجب أن التقي بهما !

فقادنى صديقى اليهما وبقينا نسكلم مدة .. تكلمنا من افريقيا الإنى عدت توا من هنساك .. وعندئل فقط مرت بنا سيدتان وكان واضحا ان ((فينسى)) يعرفهما ثم حدث شىء غريب ، فبينما اسستدار (فينسى)) ليكلم السيدتين ، توقف ((هوالى)) عن الكلام واستدار وعبر الشارع وبدا واضحا انه كان يخاف السيدات كما يخاف معظم الناس من حيوان مجنون .!

وفي مصر ذلك اليوم غادرت كمبريدج ، ولم انكر كثيرا في هسدا الأمر لمدة سنوات عديدة . . ثم تلقيت فقط مند شهرين تقريبا خطابا ، وعندما نظرت فيه ووجدت أن أسم مرسله « هوراس هوالي » استفرقني ذلك بعض الوقت حتى الذكور ذلك الرجال ! . .

مسيدي ..

قابلتك منذ خمسة اعوام فى شارع من شسوارع كمبريدج . وكنت حينند مع «ليوفينسى » وكنت ، مند مضد لمفض الوقت ، قد قرات كتبك «كنوز اللك مليمان » و « آلان كووترمين » . . انهما طبعا من قصص الرحلات والحوادث الغريبة فى افريقيا .

والقصتان في جانب منهما واقميتان وخياليتان في الجانب الآخر .

انى ارسل اليك هنا حزمة من الأوراق تروى لك أشياء حدثت لنا ، انا و « ليوفينسى » وكانت هذه الأشياء جد غريبة بحيث ارجو ان يمكنك اتت ان تصدقها . . هذا وانا « وليوفينسى » متفقان على ان القصة يجب ان تنشر على الناس ، ونحن على وشك ان نفادر لفرض سيمكنك طبعا ان تخمنه بعد ان تقرا قصتنا وتشرف على طبعها ، كما أرسل اليك المخاتم والقطعة المهشمة من الابريق الذي تتحدث عنه الأوراق . .

ليس لدى أسسياء أضيغها إلى ما هو مكتوب هنا . من كانت ((هي)) أ من إين ألت أ كيف جاءت الى كهوف ((كور)) أ . . لم نعرف أبدا الاجابة على هذه الأسئلة أ . . وربما لن نعرف أبدا أو ربعا . . اننا لا كما قلت ، ذاهبون في رحلة . وأرجوك أن تتولى هذه الأشياء حتى نسأل عنها ثانية ، أذا عدنا . .

الخلص « ل. هوراس هوللي »

هذه هى القصــة التى وصلتنى على هذا النحو الفامض . .

« هـ، رايدر هاچارد »

(۲) كيف جاء الصندوق الحديدى الى هوللى

انسا ((لودفيج هوراس)) كنت جالسا ذات ليلة في غرفتي بكمبريدج منذ عشرين عاما مضت ٠٠ وكان الوقت متأخرا ليلا ، وكنت اعلم انني سأؤدى امتحانا في بحر اسسبوع لو نجحت فيه لأمكن لي أن اصسبح مدرسا في الجامعة ٠٠ وكنت عند ذاك ، كما أنا الآن ، رجلا بلا اصدقاء! ٠٠ انني ، كما اعرف جيدا ، انسان .

قبيع دميم الشكل . نعم ، ان لى جسما قويا الى درجة غير عادية الا ان شكلى ومظهرى جعلا الناس يطلقون على اسم القرد ((السعدان) وجملنى هـذا أخاف النساء جميعا ، على اننى مع ذلك لست مولما بصحبة اقراني من الرجال .

وجلست استدكر دروسى متأخرا ذات ليلة فسمعت طرقة خفيفة على الباب ، وكانت ليلة شديدة البرودة ، وتذكرت حهنئذ أن صديقى «فينسى» كان مريضا وظننت أنه ربما يكون هو فاسرعت افتح الباب ، . .

وكان فعلا هو « فينسى » ،ويكاد يقع أرضا من الضعف ، وكان وجهه شــديد البياض مشــدودا من

الألم وكان هناك خيط رفيع دقيق من الدم يسيل من فمه . وكان يحمل صندوقا ثقيلا من الحديد . .

وضع الصندوق جانبا ثم تهاوى فى مقعده ، وظل دقائق لا يستطيع الكلام .. وصببت بعضا من النبيذ وقدمت الكاس البه ، ولما شربه بدا افضل حالا الا أنه كان فعلا رجلا مريضا ..

قلت : دعني أذهب فأحضر لك طبيبا ا

واجاب: کلایا ((هوالی)) . لقد انتهیت! ولن یکون فی مقدوری آن اراك غدا! . . وما من طبیب یستطیع آن یساعدنی . .! والآن انظر الی بدقة واصغ آلی جیدا فانك لن تسممنی انكلم ثانیة . لقد كنا اصدقاء مدة طویلة . . فل لی . . ماذا تعرف

اعرف الله عنى .. وأنك جنّت الى الجامعة عندما أصبحت أكبر من معظم الفتيان هنا .. وأعلم أيضا الله كنت متزوجا .. وأن زوجتك ماتت ...

واعلم كذلك انك كنت أيضا افضل صديق لي . . !



ـ هل عرفت أن لي ابنا . . ؟

_ كـلا .. !

ـ نعم ، لدى ابن ، انه فى الخامسة من عمره ، ماتت إمه عندما ولد ، ومن أجل ذلك لم اعد ارغب فى رؤيته ، ، ! ((هوالى)) ! ، ، انى اريد ان اجملك وليا على ابنى !

قفزت من مقعدي قائما وهتفت قائلا: انا .!!

- نعم ، لقد كنت أبحث عن شخص أعهد اليه بابنى ، وبها الشيء ! وأشار الى الصندوق الحديدى ، وأنت ذلك الرجل يا « هوللى » ، أنت قوى وأمين وعطوف ! ، اسمع ، أن ها الولد سيكون آخر شخص باق من أقدم العائلات في العالم ! قد تضحك على ما أقول الآن ! ، ولكن في يوم من الإيام سيثبت لك فوق كل شيء أنني من سلالة خمسة وستين جيلا من الأجيال المتعاقبة ، بداها قديما جندى أغريقي كان يعمل في خدمة فرعون ملك مصر القديمة ، وكان اسسمه « كاليكريتس » ..

و ((كالى)) كما تعلم ، كلمة يونانية معناها ((جميسل)) و ((كريتس)) معناها ((القوة)) .

ان ابن هـ الجندى قد اصبح كاهنا الربه ايزيس . وكان ذلك منذ حوالى الفي عام مضت . ووقع الكاهن في حب أميرة من اسرة فرعون . وترك هو والأميرة بلاد مصر سرا ، وهربا على ظهر سفينة . ودفعت الربع بسفينتهما الى ساحل افريقيا . وقتل جميسع من كانوا على ظهرها سسوى كاليكريت ى والأميرة ثم انقذتهما ملكة بيضاء جميلة تحكم شسمبا

وعاشا في منزلها . وستعرف القصة من الوثائق الموجودة في هذا الصندوق ، وستعرف ايضا ان هذه الملكة قد قتلت كالبكريتس ، وأن الأميرة فرت بطفلها إلى البونان . .

ان الطفل واطفاله واطفالهم قد حملوا جميما اسم ((فنديكس)) وهو اسم لاتينى معناه المنتقم ، وهو الذي سيتولى تخليص الحق من فاعل الجرم ، وتحركت العائلة ، كما مضت السننون ، من

اليوبان الى روما .. ومن روما الى فرنسا .. ومن فرنسا الى انجلترا .: وتحول اسم (فينديكس » نفسه الى (فينسي) .

ان الأشياء التى داخل هذا الصندوق قد انتقلت من الأب الى الابن . ثم اعطاها ابى لى . وكان الأمل دائما هو أن يقوم واحد منهم ، فى وقت ما بهذا الانتقام من جريمة القتل التى وقعت منذ مئات الأعوام على يد الملكة البيضاء فى افريقيا ، لقد حاولت أن اعتر على المكان الوصوف فى ذلك الصندوق ولكنى لم أظفر بنجاح .

وفي طريق عودتي من افريقيا التقيت بزوجتي ، وماتت وهي تلد ابني ((ليو)) . . ثم استدرت انا عائدا الى العمل ثانية وفكرت قبل أن أذهب الى افريقيا من جديد أن أتعلم اللغة العربية . . ولهذا جئت الى هنا ، الا أن الوقت الآن قد تأخر . . !!

واستطعت أن أرى أنه على حق . أن الوقت متأخر فعسلا . وأذ رقد هو على ظهر مقعده فاقسد الأنفاس بعد أن تكلم حتى هذا المدى ، فقد أصبحت شفتاه بيضاوين . . كسا كانت علامات الموت تبدو وأضحة على وجهه . . !

وأخيرا تكلم من جديد ..

- انى اسألك أن تتولى أمر ابنى « ليو » عندما أموت . وعلى هذه الورقة كتبت الأشياء التى أحب ابنى « ليو » أن يتعلمها . وعندما يصل الخامسة والعشرين من العمر ، افتح هذا الصندوق . . دعه يرى ما فيه ويقرأه وأن يقرر ما أذا كان على استعداد للقيام بالواجب الملقى عليه . . هل تفعل هذا من أجلى أذن ؟ . . أنى أتوسسل اليك وأنا على وشك الموت أن تقبل منى هذا الطلب !

_ وكيف استطيع أن أرفض هذا الطلب !!!

ـ وداعا يا صديقي ا

قال هذا وهو ياحد بيدى . . ثم خرج الى المدينة الطلعة . .

وبقيت انا غير قادر مدة طويلة على النسوم وفكرى كله يدور حول هذا الأمر واتساءل عما اذا كنت قد فهمت تماما . .

وبدوت كانني كنت نائما لمدة خمس دقائق فقط عندما سمعت صوت خادمي يدعوني فقلت :

_ ما الأمر يا «جون » 1

مالته عندما رايت وجهه قد ابيض تماما وبدا في عينيه أن شيئا قد أخافه فقال:

.. ذهبت لأنادى المستر « فينسى» . . وهناك وجدته راقدا . . وقد مات !

(٣) ليو ٠٠ يكبر وينمو

أخيانت الصيندوق الحديدي معى الى لندن ووضعته في خزانة الحفظ •

ووجدت منزلا ملائما لى والصبى فى كمبريدج . وطبعا لم ارد أن تكون فى المنزل امرأة .. لقد كان الولد اكبر سنا من أن يحتساج الى أمرأة .. وبشىء من الصعوبة وجدت رفيقا شابا اسمه **« جوب »** كان

أكبر أفراد عائلة تتمكون من ثلاثة عشر عضوا .. وبذلك كان قد اكتسب الكثير من التجارب في رمايته لاشقائه وشقيقاته الصفار ..

واخيرا وصل الطفل في صحبة امراة بكت عندما الركته . كان أجمل طفل وقعت عليمه عيناى . كان وحهه شديد الشبه بوجه أبيه ، وكان له نفس الشكل المتكامل وعلى راسه شعر ذهبي ناصع ، واذكر جيدا كيف وقف هناك وضوء الشمس الهابط من النافذة ىلهو بشمره . كنت حالسا في مقعدي . . وكان « حوب » واتفا في الركن ممسكا بحصان خشي في بلده ..

وقف الصبي ونظر الى ثم مد يده وجرى نحوى

نائيلا:

_ انى احبك . . انت دميم الشكل . . ولكنك طب القلب!

نما الطفل (ليو) وأصبح صبيا ، ثم أصبح الصبي شابا ، وإذ اخذ بنبو فقد نما ممه حماله ونمت قوله ، والبعت بحرص ودقية اوامر والده حيول ملاسته وتعليمه ، تعلم اليونانية والعربية ، وتعلمت أنيا أيضا العربية حتى أصبح رفيقا له . . وعندما وصل الثامنة عشرة من العمر ذهب الى الجامعة وبعد ذلك درس القانون . .

كان امامى شىءواحد المبنى فيه ((ليو)) اثناء كل هسلا الوقت ، ذلك أن كل امراة راتسه وقعت فى حبه . . وسبب لنا هذا بعض الصعاب الا أنه ، على ألا حوال ، كان شابا طيبا جسدا ، أكثر اهتمساما بالرياضة ودروسه ورفاقه الرجال منه بالنساء . . فكان كل شىء فى النهاية خيرا وعلى ما يرام . . رهكذا حتى احتقلنا بعيد ميلاده الخامس والعشرين . .

(}) فتح الصندوق العديدي

فى اليوم السابق على عيسد المسلاد الخسامس والمشرين ، ذهبنا الى لندن وعدنا بالمستدوق الى كمبريدج . . وقررنا أن نفتحه بعد الإفطار غداة اليوم التالى على يوم ميلاده .

وعلى ذلك فائه بعد الافطار أحضر « جوب »

الصندوق الى غرفة الجلوس وكان على وشسك مفادرة الحجرة فقلت (انتظر لحظة » يا ((جوب » . . اذا لم يكن يضيرك هذا يا ((ليو ») فاتى احب أن يبقى (جوب » ممنا . يجب أن يكون هناك شخص ثالث ليرى أن كل شيء صحيح . .

قال « ليو » : نعم بالطبع دعه يبقى معنا !

أخلت الفاتيع التى أعطانيها أبو (ليو) ليلة موته ، من هـلا الصـندوق الذى يحتوى على المن الملوكات . . كان هناك ثلاثة مفاتيع ، واحد منها حديث والثانى من طراز قديم . . أما الثالث ظم يكن بشبه أبدا مفتاحا رأيته من قبل . . كان قضيبا من الفضـة بقطمات على طرفه ومثبتا عرضيا بقضيب فضى آخر .

اخلت المنتاح الأول و فتحت الصندوق الحديدى وساعدنى « ليو » على ازاحة الفطاء الثقيل . . وفي داخله كان هناك صندوق آخر مصنوع من الخشب

الأسود . وكان عمره فيما يبدو كبيرا ذلك أن الخشب الجاف الثقيل قد تآكل وتحول الى تراب . .

واخلت المنساح الشانى وفتحت الصسندوق الأسود ويداخله كان يوجد صندوق فضى يبلغ حجمه النتى عشرة يوصة وارتفاعه ثمانى بوصات . وكان مفطى برسوم مصرية قديمة ومنحوتا نحتا جميلا من المعدن . اخلته ووضعته على المنضدة ثم فتحته بالمنتاح الفضى الغريب النكل .

داخل الصندوق الفضى كانت هناك قطعة من الورق مكتوبة بخط صديقى المترفى يقول: الى ولدى (ليو) . . وبعد ذلك تناولت لفافة من الورق كتب على فمتها: الترجمة الانجليزية للكتابة الافريقية على الايريق . . .

وتحت هذا كان هناك شيء مربوط في قطعة من قماش اصفر . فتحت قطعة القماش ووجدت في داخلها قطعة محطمة من ابريق كبير . وفي داخل هذه القطعة المحطعة رايت كتابة كثيرة . وتمت الكتابة بأيد عديدة مختلفة وبلغات متباينة ولكن الجزء الخارجى قد غطى بقدر كبير من الكتابة المتزاحمة وكلها بلغة أعرف أنها الاغريقية . . وفى وقت ما انكسر وتحطم الى قطعتين ثم ضما معا مرة ثانية . .

سال (ليو) : هل هناك شيء آخر ؟

وتحسست قاع الصندوق وجدبت شيئا ثقيلا حافا موضوعا في حقيبة ، وعثرنا على خاتم مزين بحجر كبير داكن اللون وعلى الحجر ثلاثة رسسوم محفورة عليه . .

وقلت : هذا كل شيء ١ !

وضع « ليو » صـورة امه وقـال : « نلنقرا الخطاب » !



الكتابات على القدر ...



الكتابات على الخاتم 00

د ولدی لیو ۰۰

عندما تفتع هـ فا الخطاب سـتكون قد بلغت المحاسسة والعشرين . . وساكون أنا قد بلغنى الموت ونسينى كل من عرفونى . . وسيكون ((هوالى)) قـ ف أخبرك بالقليل عن تاريخ الأسرة الماضى . وفي هـ فا الصندوق ستجد قصـة جد غريبة كتبتها مرة منذ وقت طويل على قطعـة محطمة من ابريق اغريقى . . اخبرنى ابى بهذه القصة عندما كنت في التاسعة عشرة من عمرى وخرجت استقصى لاكتشف ما أذا كانت القصة واقعية . وذهبت الى ساحل افريقيا ، شمال مصب نهر زامبيزى . . انها جزء معروف للقـلال ولا يزورها احد تقريبا وفيها تبدو صخرة كبيرة تشبه رأس رجل افريقى . ومثل هـ فا التل موصوف في الكتابة الموجودة على الابريق . .

وصلت الى هناك وقابلت رجلا طرده أهله بسبب خطاً ارتكبه وقال لى:

بميدا هناك داخل الديار يوجد بلد فيه جبال مكلها كالأكواب . . وهناك عدد من الكهوف الكبيرة . .

وحول هذه البلاد توجد ارض منخفضة تبتلع الرجال الذين يحاولون عبورها . الا اذا كانوا يعرفون ما فيها من معرات آمنة . وفي تلك الجبال والكهوف يعيش شعب يتكلم العربية وتحكمه أمراة بيضاء جميلة ولا يرونها الا نادرا وهي ذات سلطان كامل ، على كل الناس والأشياء ، الحي منها والميت . . !

كان الرجل مريضا جدا عندما قال لى هذا . . ومات بعد يومين ، وسقطت أنا أيضا مريضا . . واضطررت الى العودة الى سفينتى . . وفي طريق عودتى الى انجلرا وقفت باليونان . . وهناك التقيت بالداك . .

اعتقد أن هذه القصة مكتوبة على أبريق محطم . وهي قصة حقيقية . . واعتقد كذلك أن هناك طريقة يمكن بها أن نجعل شعبا يعيش ويعيش . . ألى الألد . . !

قسد تظن أن هذه القصسة أن هي الإخراف. شسخص مجنسون ، وقسد تظن أنه (حتى أذا كانت حقيقية) فانه ليس من الحكمة أن تكون على صلة بمثل هذه القوى المجيبة .

اذا رايت هذا الرأى فما عليك الا أن تدمر هذه الأوراق وأن تدمر ما على الابريق من كتابـــة . . ! الأوراق وأن تدمر ما على الابريق من كتابـــة . . ! ولا تدع اطفالك واطفال اطفالهم تزعجهم بعد الآن تلك القصــة الخطرة الحمقاء . أوقد ترغب ــ كما رغبت أنا ــ أن تمرف ما أذا كانت القصة واقعية . أم لا . . وقد تقرر أن تذهب وأن ترى بنفسك . . لك أن تختار وداعــا . . !

قال ((ليو)): حسينا .. ماذا تظن أنت با ((هوالي)) ؟

قال (جوب) : انه مجنون حقا!

_ حـــنا . فلننظر ماذا تقول الكتابة على الابريق .٠٠

واخذ (ليو) النسخة الانجليزية وقرا ما يلى :

- أنا ((أمينارتاس)) من عائلة فرعون . . أنا زوجة ((كاليكريتس)) . . اكتب هــذا لابني الصغم الذي اسميته « المنتقم » . . أكتبها لأني أن البث أن أموت ، عندما ذهبت أنا وأبوك على ظهر مركب من مصرحتنا إلى الساحل الشرقي لافريقيا . وهناك القت بنا عاصفة قرب صخرة تشبه راس رحل افريقي . فقه مات كل الرحهال الذين كانوا على السفينة ، ولكن رحالا متوجشين طبونا بعد رحيلة عشرة أيام ألى أن وصلنا الى حبل حيث كانت تظهر آثار مدنسة قديمة كبرة .. ولكن هده الدنسة العظيمة قد دمرت منذ وقت بعيد .. وداخل الحيل توجد كهوف كسرة . وحلينا هؤلاء الرحيال إلى ملكة شعب يضمع رجاله القمدور عدى رءوس الأجمانب الفرياء . . !

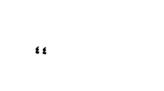
هده الملكة سساحرة وتعلم كل أسرار الحيساة والجمال وهي لا تموت أبدا . . واحبت ((كاليكريتس)) وارادت أن تقتله واخذتنا الملكة الى كهف كبي . . .

بعيدا تحت الأرض . . وفيه كانت « نار الحياة »! . . . وقفت هي في قلب النار وخرحت دون أن تمسها هذه النار بضر أو تنقص من جمالها . . ثم قالت لكاليكر بتس « اقتل زوجتك . . وهبني نفسك . . وسأبقى عليك حيا لا تموت . . ذلك أنى أنا لا أموت وستعيش انت الى الأبد » . . ولكنه لم يرض . . ثم غضبت الملكة وقتلته . . ولكنها لم تستطع أن تقتلني أنا لأني اعرف سحر القوم . ارسلتني الى مصب النهر حيث ترد السفن الكبرة . وهكذا وصلت أثينا . . والآن واكتشف سرها في الحياة .. واقتلها من أجل أبيك ((كاليكريتس)) . . واذا فشلت انت فاجعل النك يفعلها أو اطفال اطفالك . . حتى يأتى واحد منهم . تكون له الشجاعة أن يؤدى وأجبه .

قلت: حسن يا ((ليو)) الآن تستطيع أن تقرر ماذا تفسل في ذلك أني أعسلم ماذا يدور في ذهني أن الإبريق والكتابة واقعيان حقيقيان . . أنها أغريقيسة قديمة ولكني أظن أن آلامها وشكواها ونقدانها زوجها وقال « ليو » : ربما كنتما على حق انتما الاثنان ولكنى اقول هـــلا : ساقوم انا بحل هذه المشكلة . . فاذا لم تكن صادقة شاكون اذن قـــل انهيتها . . ووضعت خاتمة لها وتوقف . ثم قال : اذا لم تجيئا معى فسأذهب وحدى . .

فقلت آنا: حسن . . حسن . . آنا في حاجسة الى عطلة وستحصل أذن على صيد جيد . : !

وبعد ثلاثة أشهر كنا في طريقنا الى زنجباد ٠٠



(٥) عاصفة في البحسر

حصلنا على مركب عربى عبارة عن سفينة شراعية كما تبدو في الصورة ، ووراءها قارب كنا قد جلبناه معنا من انجلترا . . وكان لهذا القارب حافظات هوائية مبنية فيه ومن شأنها أن تجعله طافيا حتى اذا امتلاً بالماء . وكان هناك أيضا صناديق للغاء والؤن .

كتا نبحر جنوبا بحداء الساحل الشرقى لافريقيا ، وكانت الأرض تعتد الى يدنا اليمنى ، وملأت الشراع ربع رقيقة ، وكان البحر لطيفا تخرج منه موسيقى هادئة حانية ، وفوقنا كان القمر وكان الليل صافيا يسمم فيه ادنى صوت . .

وكان يقود السفينة عربى اسمه ((محمود)) . وفجاة رفع يده وقال : اسمعوا . !

وجاءنا صوت بطيء عميق فوق المياه ...

قال محبود : هــذا اسد !

قلت: غدا حوالى العاشرة مساء سنكون قادرين على رؤية هــذا التل الذى يشسبه رأس انسسان . . هكذا يقول لى القبطان .



السسطينه ٠٠

وسالت انا: وهل يعرف ؟

- كلا .. انه يقول ان البلاد فيما وراء خط الساحل منخفضة رطبة غير صحية ومليئة بالثمايين ..!

ـ ما هذه السحب ؟!

قالها « ليو » موجها الحديث الى محمود مشيرا الى كتلة سوداء على طرف السماء ٠٠

وعند ذاك جاء ((جوب)) وقد لونت الشمس بشرته وبدا انجليزيا جدا) وقال :

- سيدى لقد وضعت كل البنادق والمخزونات في السفينة عند الوُخرة بحيث تكون جاهزة للرحلة اعلى النهر .. والقبطان يقول اننا سنكون هناك في وقت مبكر من صباح غد .. الا اننى يا سيدى لا التي في هؤلاء الرجال ولذلك فاني سانام ليلتى في القارب.. اذا وافقت يا سيدى على ذلك .

ووافقت . . وكان الوقت يتقدم . . وبدلك فاننى انــا و « ليو » وقدنا لننام .

وكان الشيء التالى الذى عرفته هو مسماع صوت رهيب تحدثه الربح القوية . . ثم صرخة فزع من الرجال . . وتفزت من مكانى وامسكت بحبل . وكانت السماء سوداء فوقنا ولكن كان القمر لا يزال يفيء امامنا . ورايت بضوئه موجة كبيرة ارتفاعها يبلغ نحو عشرين قدما . واستطعت أن ارى المساء البيضاء على تاجها ؛ وجاءت مندفعة الى الأمام ثم غرق كل شيء في ضوضاء المساء .

ومرت الموجة . . وبعد ذلك رايت شراع السفينة يطير بميدا كانه سحابة تدفعها ريح وسععت صسوت (جوب)) يصبح قائلا :

منا يا سيدى . . تعال هنا في السفينة .

وكانت السفينة مليئة بالمساء . ورايت محمود يقفز الى سطحها وقفزت انا الآخر وجدبنى محمود من ذراعى الى الداخل وقطع الحبل بمطواته عندما بدأت تتحرك . .

وصرخت انا فجاة : اين «ليو» . . ؟! . . «ليو»! . . «ليو» . . ؟

قلل « جوب »: لقد ضاع يا سيدى . !! . . انظر . . ها هي ذي موجة أخرى تهجم علينا . .

كان القمر الآن يكاد يختفى . الا اننى رأيت فى شوله الخافت الموجة القادمة .. وفيها شيء داكن اللون . كانت فوقنا . وكانت السفينة تكاد تمتليء بالماه ولكن حافظاتها الهوائية كانت تمسك بها وتجعلها مائمة على سطح المياه ، وبدا الشيء الداكن يأتي نحونا مباشرة . ومدت ذراعي لأحمر نفسي منه ، الا أن يدى اطبقت على يد اخرى .. وامسكتني الميد !! وأنا طبعا رجل قوى .، وكانت السفينة تسند جانبي الا اني شعرت بأن ذراعي يكاد ينخلع مني خلما !! ولو دام اندفاع الماء اطول من هذا فلابد أن اترك ولو دام اندفاع الماء اطول من هذا فلابد أن اترك نفسي تلهب ضائعة ولكن الموجة مرت . . !



العاصـــفة ٠٠

ولاح آخر أضواء القمر قبل أن يفطيه الظللام تماما فأضاء لنا وجه الرجل الذي تعلق بي .. لقد كان « ليو »! « ليو » بجيء الى ثانية ، حيا أو ميتا. بهذه الموحة الثانية .. !!

كان كل من (جوب) و (محمود) يستغلان بحمية يزيحان الماء من قاع المركب ، وانضممت اليقما سريعا ، واخذ ثلاثتنا يعملون لانقساذ حياتهم وكانت الماصفة تجتاحنا من جميسع النواحي ، ثم سمسا صوت الربع المميق وارتفعت فوق صوت الربع والمطر الموجات ترتطم على الصخور ..

وصعد القمر ثانية ثم بدا على بعد نصف ميل المامنا خط ابيض من الماء القطع التقاطع ، وراءه خط ابيض ثان وازداد الصوت وضوحا وقوة .

صعت قائلا: اذهب وخلد قيسادة الركب يا « محمود » . . يجب ان نخرج من هذه العاصفة !

جلست أنا و ﴿ جوب ﴾ مستعدين التجديف ودفعتنا الربح والمياه ألى الأمام . وكان هناك مكان واحد حيث بدا الخيط الأبيض ارفع ، فاشرت اليه :

ب قدنا الى هنا يا « محبود ً » !

رابته بجلب بكل قوته لادارة القارب في هدا الاتجاه . . وجذفت أنا و « جوب » بكل قوتنا . وكنا الآن في وسطها وانقذف الماء الكسور عاليا فوق روسنا وجاءتنا موجة من ورائنا . رفعتنا والقتنا في مياه اكثر هدوءا . .

وأصبح القارب ملينًا الآن بالماء . وعلى بعد نصف ميل أمامنا كان الخط الأبيض الشانى ولكن الماصفة كانت الآن أكثر هدوءا ...

نظرت الى « ليو » كانت عيناه مفتوحتين ولكننا كنا الآن مدفوعين نحو الخط الثانى من الصخور .. وجاءت صرخة « محمود » .. وصلاة استنجاد من « جوب » .. ودفعتنا المياه امامها وخلفها وسط موجاتها المتكسرة .. وكانت الماصفة قبد انتهت الآن تقريبا .. واصبحت السماء صافية .. واخد ضوء القمر الابيض يسطع فوق البر والبحر .. ونظرت الى الملى .. الى المسخرة الكبيرة المائلة امامنسا في البحر .. واضاء القمر من ورائنا بحيث وقفت المخرة سوداء مقابل السماء ..

وكانت الصيخرة على شكل رأس رجسل افريقي . . !!



الصخرة المنحوتة على شكل رجل افريقي



(٦) بعض الصدق في القصة

طلع ضوء النهار أخيرا...

وجلست هنساك في القسارب استمع الى همس المياه الرقيق . وكلما نظرت الى التل المسائل في البحر، رايت الصخرة الغريبة الشكل ، يحيط اطرافها وهج الشروق . . لم يكن هناك شسك في شانها الله

كانت هناك إنف الرأس ، وكانت هناك الميون ، وكان هناك الغم . . الشكل الكامل للراس !!

الا اننى لم اكن ابدا مستطيعا ان اكتشف ما اذا كان شكلها هسدا من صنع يد انسانية ، ام انها كانت حادثة من حوادث الطبيعة ، ولكنها كانت قائمة هناك امام البحر تماما كما راتها « آمينارتاس » الامسية المرية منذ الفي عام .

سالت: حسين .. ما رايك في هيذا يا « جوب » . . ؟

ورآها « جوب » للمرة الأولى فقال : يا فه !! وأيقظت « ليو » الذي بادر وسالني :

ــ ولكن أين القارب؟ ماذا حدث أ

ـ فقدنا القارب وفقدنا كل من كان عليـه من رجال ما عدانا نحن الأربعة .

ونظرت الى « ليو » وقلت :

_ وانت نجوت باعجوبة !!

ونظر « ليو » امامه وقال صِارحًا :

_ ماذا ؟ ! . . هذا هو الراس الافريقي !! واذن فالأمر كله حقيقي !!

فاجبته:

لا أوافق على هذا . علما بأن هذه الرأس قد
 كانت هنا . والدك رآها ! . ولكنها قد لا تكون
 كتلك الرأس التي تتحدث عنها الكتابة . حتى اذا
 كانت هي نفس الرأس فان هذا لا يثبت شسيئا . .
 لا يثبت أن بقية القصة كلها حقيقية .

فقال « ليو » :

- انت شخص غير قابل الاقناع او التصديق!
- نعم . . انا فصلا غير مقتنع . . وانت الآن مستلاحظ ان قاربنا محمول الى شط رملى في مصب النهر . . ويجب ان نجدف وان نحاول أن نجد مكانا يمكننا منه ان نصل الى الأرض .

وكان هناك حوالى مسافة ميل وذراع طويلة من الأرض الرملية اعلى من الأرض الباقية وذات جوانب محورة . وسريعا ما وصلنا اليها ونزلنا الى البر . . ثم غسلنا انفسنا ونشرنا ملابسنا وتركناها تجف . . ثم أحضر « جوب » شيئا من الطعام لافطارنا .

وبعد الافطار نظرنا لنتامل ما حولنا فوجدنا مساحة من الأرض يبلغ طولها حوالى خمسمائة باردة بينما لا يزيد عرضها من مائة ، تعلو عن سطح الأراضى المنخفضة وراءها حوالى خمسة وعشرين قدما .

قائل (ليو)): هذا مكان بناه الناس بأيديهم . . كما جاءت هنا سفن كبرة . .

قلت: لا تكن احمق . . ! . . من ذا الذي يبنى مكانا مثل هذا في ارض واطئة وفي بلد لا تعيش فيه الا شعوب متوحشة . . هـذا اذا كانوا يعيشون فيه على الاطلاق ربما لم تكن دائما هكذا ، وربما كانت هذه الأراضي المنخفضة جافة في قديم الزمان

قال ((لمو)): انظر هناك!

مشيرا الى شجرة اقتلعتها العاصفة وانتزعت جدورها المقلوبة من الأرض تاركة وراءها حفرة كبيرة.

- اليس هذا عملا حجريا في قاع الحفرة ١١

تسلقت هابطا الحفرة .. وهناك في قاعها كانت احجار كبيرة مبنية الى جوار بعضها البعض .. وكانت وجود الاحجار مسطحة بدقة وعناية واستطفت ان ارى فوقها العلامات التى تبين ابن قطعت . وحفرت في التربة بيدى ووجلت خاتما معدنيا كبيرا جدا .. كان عرضه حوالى قدم كامل بينما يبلغ سمكه نحو ثلاث بوصات ..

ـ يبلو أن سفنا كبيرة جدا قد جاءت هنا ..

قال « ليو » هذا وهو يرقبني . . ولم استطع انسا أن أجيب . ربما كانت هذه الأرض جافة في يوم ما . . وربما قامت هنا مدينة عظيمة قديمة !

قال « ليو » : يبدو أن هناك بعض الحق في القصية . . الا يبدو لك ذلك وأضحا ! أ

نظرت حولى فوق الأرض المنخفضة ، وامتدت هــذه الى أبعد مما ترى العين .. كانت الشــمس تسكب الآن عزيدا من الحسرارة • وانتشــر حولها قناع خفيف من البخار ..

قسلت: هناك ثلاثة أشياء تبدو واضحة لى .. انه من الواضح اننا لا نستطيع أن نعبرها وواشرت الى الأرض الواقعة خلفنا) .. وثانيا فانه من الواضح اننا لا نستطيع أن نبقى هنا لأننا أذا بقينًا فسنموت مصابين بالملاريا .. وهمكذا فانه من الواضح لى ، ثالثا) أنه ينبغى علينا أما أن نخرج ألى البحر فى القارب وأن نصل إلى مكان بحداء الساحل أو أن نصعد النهر ونرى إن وصلنا ..

قال ((ليو)) : لست أدرى ماذا ستفعلون ولكننى ماذهب الى النهر !

قال (جوب): فليميننا الله ! .

وقال ((محمود)) : نفس الشيء باللفة العربية ! ً

(7) صعودا مع النهر

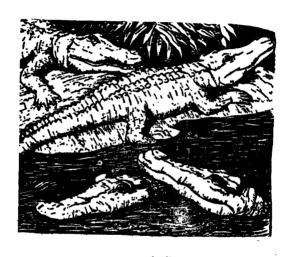
كانت الربع تهب نحد الأرض من البحد . . ورفعنا الشراع وسرنا ساعات بجذاء الشاطىء وبسرعة طيبة . . وراينا عددا من التماسيع راقدة فوق الشاطىء أو تطل عيونها فوق الماء . .

وفى منتصف النهار هبطت الربح وأصبح الجسو

شديد الحرارة ، وذهبنا نستظل يبعض الأشسحار ورقدنا حتى غربت الشمس ثم جدفنا أمامنا حتى وصلنا الى بعض من الماء الكشوف في بحرة صغرة ، حيث نوينا أن نبقى البيل .. وعند الفروب حاءت بعض الظبيان المائية تشرب من النهر .. ولم نكن نعلم كم طالت رحلتنا او حتى متى سيبقى لدىنا من طمام وبذلك اخذ « ليو » بندقيت ورابته واقف سندقيته في مواحهة السماء . وفي القدمة لحت ظمي الماء مطاطئا راسه يشرب . . ! وفي الغرب كانت كرة الشمس الغاربة الحمراء والسماء ممتلئة ياسرآب البط البرى عائدة الى أوطانها خلال الضوء اللهي ، وكل شيء فيما حولنا عبارة عن مياه هادئة وحشائش طويلة .. وكنا ثلاثة من الانجليز في قارب انجليزي .. وبدونا غرباء عن الكان . . ! وانطلقت الرصياصة !! وقفز الظمي قفزة عظيمة!! ...

لقد أخطأ « ليو » مرماه ، ثي انطلقت رصاصة ثانية !! .. وكانت هذه طنقتي إنا ..

قال (ليو) : طلقة رائمة ! وكانت طلقتي خالبة !



التماسسيح ٠٠

وخرجنا من المركب واخذنا من اللحم قدر ما استطعنا حمله ثم جذفنا حوالى ستين ياردة من الشاطىء وتناولنا وجبة ثم حاولنا أن ننام ولكن النوم كان مستحيلا . انقضت علينا ملايين الحشرات هبطت علينا كأنها سحابات وانهالت علينا لسعا من خلال اللابس .. وغطينا وجوهنا ولكنها استمرت تلسعنا من خلال الأغطية !

ومضت الساعات في هدوء ثم سمعت صوت أسد يمزق الصمت العميق ثم صوت أسد آخر ...

قال « ليو »: أنا سعيد لأننا لسنا على الأرض:

وبعد وقت طويل طلع القمر وسمعت « جوب » يهمس *

- أوه .. يا للحظ ! .. انظر هناك ! ..

كان هناك اسدان جذبتهما نحونا رائحة اللحم الطازج فجاءا يسبحان نحونا وعلى بعد خمسة عشر قدما كان يقع الشاطىء الرملى ، وكان عمق الماء فوقه يتجاوز بوصات فقط ، جاء الأسد الأول الى



الظبي ٠٠

الشاطىء الرملى ووقف واطلق عليه « ليو » النار وسقط الأسد فى الماء ميتا ! . . وكان الأسد الثانى وراءه مباشرة وفجاة نشب صراع عنيف . . انجلب الأسد الثانى الى الوراء غائصا فى الماء .

وصرخ (محمود قائلا)): انظر ! لقد قبض تمساح على رجله !

ومضى الصراع ناشبا بينهما وبدا الأسد فجأة كأنه يجلب التمساح الى البر ليسقط من جديد . . وأخيرا سقط رأس الأسد الى الأمام ورايناه ينجلب فى المساء وكان الصسمت تاما اللهم الاطنين الملايين من أصوات الحشرات .

وفى خامس أيام رحلتنا ذهبنا حوالى مائة واربعين ميسلا غربا من السساحل . وفى صسباح ذلك اليوم انخفضت سرعة الربح العادية حوالى الساعة الحادية عشرة . وبعد التجذيف مسافة قليلة جئنا الى مكان انقسم فيه النهر الى فرعين وخرجنا من القارب وسرنا على اقدامنا بحذاء الشاطىء الشرقى للنهر لنرى



وظهر اسد على الرمال • •

كم عمق الماء هناك .. وبعد أن سرنا حوالى خمسين ياردة رأينا أنه سيكون من المستحيل أن نضع القارب فيه .. أصبح الماء أقل فأقل حتى هبط عمقه الى مجرد بوصات قليلة وعلى ذلك عدنا راجمين بحداء الشاطىء الآخر ، الشاطىء الغربى ..

كان من الواضح أن هذا النهر ليس طبيعيا ولكنه ممر مائى من صنع الانسان . كان شاطئاه عاليين حيث رفعت الأرض من مكانها أثناء الحفر ومضى الشاطئان في خطب واحد مستقيم نحو غاية معروفة . وبدا الماء فيه كأنه لا يتحرك البتة وكان النبات فيه شديد الكافية . .

قال «ليو »: اظن أن هذا النهر المائى قد حفر لجلب السفن الى مدينة داخلية قديمة ..

قلت: يجب أن ندهب ألى هناك أو أن نعود ألى البحر أذ لا يمكننا أن نبقى هنا حيث نحن فتأكلنا الحشرات!

انتظرنا حتى انخفضت الشمس ولم تكن هنساك ربح وظللنا نجذف فى الساعة الأولى ، فكان عملا عظيم المشقة . ثم اصبحت النباتات شديدة الكثافة حتى اضطر اثنان منا أن يخرجا فيدفعا القارب بينما بقى الثالث يتولى زمامه وجلس الرابع فى المقدمة ودفع بالنباتات بعيدا وهى تتكوم أمام مقدمة القارب ..

ان أصف الأيام الأربعة التالية من رحلته . كانت أشقى الأيام في حياتي وكانت أياما لا تنتهى من الممل والحرارة والحشرات . .

وفى اليوم الشالب رأيسا ، على مبعدة ، تسلا مستديرا لا يسكاد يظهر لشسدة بعده . . وفى الليلة الرابعة بدا هذا التل أنه على بعد ثلاثين ميلا منا . .

كنا الآن قد انتهينا وكانت أيدينا قد تشققت وغطتها الدماء . وشعرنا أننا لا نستطيع أن نجلب القارب ياردة أخرى وأن أفضل شيء هو أن نرقد ونعوت هناك في هذه الفيافي ألمائية . . وعنها القيت بنفسي

فى القارب لعنت حماقتى لانضمامى هكذا الى رحلة مجنونة بهذا الشكل يمكن أن تنتهى بموتنا جميعا . وعندما نمت حلمت بالقارب وبما سيكون عليه شكله فى ثلاثة أشهر من الآن : نصفه ممتلىء بمياه كريهة الرائحة ترقد فيه جثث متآكلة لأربعتنا . . وبدوت انى ارى جثة محمود هناك أمامى بعينيها المفتحتين تنظران إلى دوما كما لو كنت وحدى الذى يلام . . !

استيقظت اهتز من الخوف على أثر هـذا الحلم الفظيع . وعندئد رايت شيئا لم يكن حلما . عينان كبيرتان كانتا تنظران نحوى من خلال الظلام . وقفت وصرخت ثانية وثانية بحيث قفز الآخرون واقفين وجلسوا هناك يهتزون من الخوف الشديد وما زالوا نصف نائمين .

رأيت ضوء القمر يضىء رأس حربة مصوبة الى قلي !

قال الرجل بالعربية : من انتم ايها الرجال

الذين جاءوا سابحين في الماء .. تكلموا .. تكلموا . وكلموا والاكنتم من الموتى ؟!

ولكنها كانت لغة عربية من نوع خاص لم اكـد افهمها ..

قلت بافضل ما لدى من عربية: نعن رحالة! جئنا هنا بالصادفة!

ادار الرجل راسه ، وسال رجلا طویلا جدا و اقفا خلفه : یا این . . هل نقتلهم . . ؟!

(٨) شسعب الاحجسار

سال حامل الرمع: يا ابي .. مل نقتلهم ؟

_ من هم ؟

- ثلاثة رجال بيض وواحد اسمر البشرة!

قال الرجل طويل القامة: لا تقتل . . منذ ادبعة أبام كلمتنى تلك التي ينبغى أن تطاع وقالت أذا جاء

قال الرجل حامل الرمح: تمالوا . . تمالوا !

وسحبونا من القارب . وعلى الشاطىء كانت هناك جماعة من حوالى خمسين رجلا . . وكلهم يحملون حرابا طويلة وكانوا طوالا جدا وكانوا اقوياء . وكان جلدهم فاتح اللون ولم يكن على ابدانهم ملابس ، مجرد جلد اسد في الوسط . .

قال الرجل الطويل القامة: احضروا المقاعد!

وجاء الرجال جارين نحونا بالمقاعد . وكان كل مقمد يحمله أربمة رجال وكان هناك رجلان اثنان آخران حتى يتم تناوب العمل ..

قال «ليو »: حسنا .. من الأفضسل أن يجد المرء أناسا ليحملونا بعد أن حملنا أنفسنا هذه المسافة الطويلة ..

بدا « ليو » وكانه ياخذ دائما الجانب الحسن من الأمور .

وما أن جلسنا فى المقاعد حتى بدأ الحمالون .. وارتفعت عقائرهم بالفناء عندما بدأت أقدامهم المشى وسربعا ما دفعتنى الحركة والغناء الى النوم .

وعندما استيقظت كانت الشسمس عالية في السماء . وكنا ما نزال نرحل بسرعة حوالي أدبعة أميال في السساعة . . كنا قد خرجنا من الأراضي المنخفضة . وكنا نتحرك فوق واد يتجه الى تنل عبيد !

نظرت الى الرجال الذين كانوا يحملوننا . كانوا رجالا حسنى المظهر ذوى جمال على نحو ما ولكن وجوههم كانت مليئة بالشر . لم يبتسموا أبدا . واحيانا كانوا ينشدون بعض الأغنيات ولكنهم يظلون صامتين عندما لا يغنون . ولأمر ما للني منظرهم خوفا .

كنت لا ازال الساءل من ابن الوا ! . . عندما حمل كرسى الى جانب بدى اليمنى وفيه جلس رجل عجوز يرتدى ثوبا اصغر اللون يكاد يشبه ذلك الذى وجدته فى الصندوق الحديدى . قررت انه لابد أن يكون هو الرجل الذى نادوه بالأب ، كان رجلا رائع المنظر بدقن بيضاء وعينين وامضتين حليمتين .

قلل بصوت خفيض عميق: واذن فانت متيقظ اخيرا أيها الرجل الغريب!

فاجبته بادب بالعربية: نم يا أبي . صباح الخير عليك .

ابتسم وقال: لا ادرى من ابن أتيتم ولكنها بلد تمرف شيئًا عن لفتنا وهم يعلمون الأدب . ولكن لماذا جئتم الى هذه البلاد حيث لم يحضر غريب منذ أمد طويل !

اجبت : لقد جئنا لنجد اشياء جديدة . لقد تعبنا من الأشياء القديمة نحن شعب شجاع لا نخشى

الموت . . اذا استطعنا ان نعلم شيئا جديدا قبل ان نعوت !

سالت : من هى تلك ـ التى ـ ينبغى ـ ان تطاع ؟ !

فضحاك ضحاكة غير سارة على الاطالاق ، وقال :

ـ سريعا ما تعرفون هـذا . اذا رغبت « هي » أن تراكم بينما تزالون أحياء .

سالته: ما اسم شعبكم ؟!

ـ نحن شعب المتحجرين ٥٠ شعب الصخور..! ـ هل لى أن اسألك عن اسمك !!

- اسمى بلال .
- ـ واین نحن ذاهبون ؟ !
 - ـ سنرى ا

وأخبر رجاله أن يحملوه أماما الى حيث كان وجوب » جالسا في كرسيه بقدم مدلاة من ناحية جانب المقعد . . .

(9) الراحة في الكهف

نمت ثانية ، وعندما كنا نمر بين الحسائطين الصخريين استدرنا حول ركن وظهر أمسامى منظر جميل ، رأيت واديا كبيرا عرضه يبلغ حوالى خمسة أميال ، وكانت الجوانب صخرية بأعشاب تنمو عليها ، ولكن المركسز فيه كان الحشسيش الفنى الأخضر مع أشجار رائعة قائمة هنا وهناك ومجار قليلة تسرى

عبرها . ونوق هذا الوادى الفنى رأيت ابقارا كثيرة وحيوانات أخرى . كان هناك رجيال يتحركون بين الحيوانات ولكنى لم أر علامات تدل على مساكن . . أين يعيش هؤلاء الناس ؟!

درنا نحو اليسار وذهبنا بحداء جانب الوادى لمسافة نصف ميل ثم وقفنا .. نزل الرجل المجوز بالال » من كرسيه وفعلت مشله وعند ذلك رايت « محمود » المسكين نائما على الأرض لم يعط كرمسيا وكنه أجبر على الجرى حول الطريق كنا توقفنا على ارض مستوية امام فوهة الكهف . وضعت كل الأشياء التي جلبت وحول الكان وقف الرجال اللدين حملونا بعض النساء . ولم يكن يرتدين جلود الأسسود مثل الرجال ولكن جلود الظباء وارتدى بعضهن قماشا اصغر مثل ذلك الذي وجدناه في الصندوق .. ذلك اللون الأصفر كان علامة المركز . اكتشفت همذا فيما بعد ..

عندما نزل (ليو) من كرسسيه أبدى النساس

اهتمامهم الكبير وخاصسة عندما خلع قبعتسه وراوا شعره الأصفر .

وبين الجمهور كانت هنساك امراة ذات تقاطيع بالغة الروعة .. وكانت مرتدية ثوبا اخضر .. كان جلدها ذهبيا فاتحا وشعرها بنيا . نظرت الى « ليو » بحرص من راسسه الى قدمه وبعد ان قامت بهسله الدراسة الحريصة الدقيقة تقدمت الى الأمام ووضعت ذراعها حول رقبة « ليو » وقبلت يده .

توقعت أن يندفع الرجال على « ليو » ويطمنونه بالحسواب .

قال (جوب): يا لها من امرأة لا تخجل !

بدا (ليو) مندهشا بعض الشيء وظن أنها . عادة (غريبة) من عادات البلاد فرد التحية بمثلها .

ومرة ثانية توقعت حدوث شيء . بدت بعض النساء الصغيرات الشابات على شيء من الغضب ، وابتسمت بعض النساء الكبيرات . وبعد ذلك علمت

وفهمت معنى ذلك بين افراد شعب المتحجرين النساء والرجال على السواء فالنساء والرجال هنا سواسية والنساء تختسار ازواجهن بتحيتهم على هادا النحو واذا رد الرجال بهذه الطريقة فان هذا معناه انهم يوافقون .

اسم هذه المرأة الشابة هو « أوستين » وهكذا فان « أوستين » قد اختارت « ليو » زوجا لها وكما بدا لها أن « ليو » قد وافق .

رایت امراة لم تکن شابة بعد تحرکت نحو « جوب » .وکان « جوب » یبدو خائفا ولکن « بلال » تقدم حینئد وقادنا الی الکهف . وکان الکهف یبدو طوله نحو مائة قدم وخمسین قدما عرضا . . تمر منه ممرات عدیدة . وکان واضحا أنه لم یکن کهفا طبیعیا ولکنه بنی بید انسان .

كانت تشتمل في وسطه نار كبيرة تلقى اشباحا عريضة على الجدران والسقف . وقادنا « بلال » الى النار وجملنا نجلس على جلود هناك جاهزة لنا . وجلبت فتيات صغيرات الطعام لنا ـ لحب وقمحا وقمحا ولبنا . وكنا في شدة الجوع وبعد الوجبة وقف (بلال) وتكلم :

ـ هذا شيء جميل هذا الذي حدث . لم يات أبدا غريب أبيض البشرة الى هذه البلاد قبل الآن . وفي بعض الأحيان جاء أفراد قليلون آخرون الى هنا . ولكنهم جميعا قتلوا . لقد راوكم تجذبون قاربكم على طول الطريق العتيق وأمرت أن يتم قتلكم ولكن رسالة جاءت منها ((هي)) !

فسالت : هي ؟ !

الاسم الكامل هو: « هى ما التى يجب أن تطاع » ولكن اسمها الصغير: « هى » يجب أن أذهب الآن لأعرف المربد من أوأمرها!

وسالت: وكم من الوقت ستبقى بعيدا ؟! - ساعود في اليوم الخامس!

۔ واذن فهی تعیش علی مسافة تزید قلیلا علی یومین من هنا . . ولکن کیف عرفت بوجودنا هنا ؟ ابتسم « بلال » ونظر حوله ليرى أن ليس هناك أحد من الآخرين قربنا ثم قال بهدوء: اليس من أحد في بسلادكم يسستطيع أن يرى بدون عيسون ويسسمع بلا أذان ؟ لا تلق على أسئلة . . أنها تعرف !

ومضى قائلا: ساعود فى اليوم الخامس . وسيفعلون كل شىء من أجل راحتكم بينما أنا غائب . وآمل أن تفكر بعطف فى شأنكم وساتحدث أنسا مدافعا عنكم لأنتى أحبكم . ولكنى لا أعطيكم الا قليلا من الأمل كل أجنبى جاء هنا ألى هاده البلاد أثناء حياتى وأثناء حياة أبى وجدى وجد جدى قد قتل . قتلوا جميعا على نحو كريه بغيض لن أصفه وهى التى كانت دائما تعطى الأمر بقتلهم . . أو تأذن بذلك .

قلت: لست افهم . . انت رجل كبير مسن . . كيف تستطيع هى ان تعطى الأمز بان يقتل رجل واحد ، في وقت جد جدك ؟

وابتسم « بلال » من جدید ثانیة . . ومضی بعیدا دون ان یتفوه بایة اجابة .

(١٠) الأيام الأربعة الأولى

عينوا لنا رجلا دميم الخلقة في الأربعين من عمره وليا على أمرنا وأنبائه أننا نريد أن نستحم وقادنا الى مجرى مائن . وعندما عدنا كانت الشهس قسد غربت وكان الكهف مليئا بالناس يجلسون حول النار وياكلون وجبتهم المسائية .

كانوا ياكلون فى صمت مهيب . . جلسنا واخذنا نراقبهم بعض الوقت ولكنه لم يكن منظرا مبهجا ولهذا قلت لحارسنا الجديد :

- نحب أن نذهب لفراشنا .

ودون أن ينطق كلمة أخذ مصباحا وقادنى الى واحد من المرات الصغيرة الخارجة من الكهف . وبعد أن ذهبنا حوالى خمس ياردات انفتح المر الى داخل غرفة صغيرة . وفي ناحية من الحجرة كان رف حجرى طوله ستة اقدام وعرضه قدمان اوثلاثة . وارانى أن على أن أنام هنا . ولم تكن هناك نافذة أو ثفرة ولا منضدة ولا كرسى ولا شيء ! وبدا لى الكان كانه يستخدم لراحة الموتى اكثر منه للأحياء . . ثم اكتشفت بعد ذلك أننى كنت على صواب . ولكن كان على أن أنام في مكان ما . وعلى ذلك عدت الى الكهف لأجد الحقيبة التي تضم أشيائى . هناك قابلت « جوب الذي اقتيد الى غرفة أخرى من نفس النوع ، ولكنه الذي اقتيد الى غرفة أخرى من نفس النوع ، ولكنه قال لى :

- انه قبر با سيدى . . مجرد قبر لجثة رجل ميت . لا استطيع أن انسام هنا وحدى . هل استطيع أن آتى معك . . لجرد الصحبة يا سيدى ؟

وفي الصباح سمعنا صوت الطبل .. فقمنا .. ودهبنا الى الجدول واغتسلنا . وبعد ذلك جلبوا لنا الطعام .. وعندما جلسنا الى الافطار جاءت احدى النساء الى « جوب » وحاولت ان تقبله .. وكان « جوب » شديد الغضب فصرخ في وجهها :

- اذهبی! اذهبی! صدقتی یا سیدی لم ارها قبل الآن علی الاطلاق . . اوه!! یالله انها آتیــة نحوی من جدید . امســکها بعیدا یا مســتر « هوالی » اواستدار هاربا!

رايت بعضا من شعب الأحجار يضحكون . . ولكن النساء وقفن هناك وكن ينتغضن غضبا ، ووددت لو كان « جوب » اقل حرصا من ذلك على اسسمه الطيب . . واكثر حرصا على مشاعر السسيدة ا

خشيت أن يضعنا هذا في موضع الخطر . والواقع أن ذلك قد حدث بالغمل!

قلت للرجال: ان الرجل متزوج . . وزوجت امراة شرسة . انها تجعل حياته بائسة . . هــذا هو السبب في انه يخشى النساء جميعا . . !

استمعوا الى فى صمت وكان واضحا ان طريقة « جوب » فى استقبال السسيدة قد مست كرامتهم ، وكانوا غاضيين لهذا ..

وبعد الافطار راقبنا الناس يعملون في الحقول.. جاءت معنا صديقة « ليو » واسمها « أوستين » وجلسنا الى جوار المجرى وسألت « أوستين » عن شعمها فأحابت :

ـ لا ادرى ولكن هناك خرائب كثيرة لمدينة قديمة قرب المكان الذى تعيش فيه « هى » . . المدينة نفسها كان اسمها « كور » . لا احد يجرؤ أن يقترب

من تلك الخرائب ، ان ارواح رجال موتى تعيش فيها . وهناك خرائب اخرى في اجزاء اخرى من البلاد حيثما كانت الأرض مرتفعة . . هناك ايضا كهوف منحوتة في الصخر نحتها رجال عاشوا في المدن .

سالت : هل لديكم أي قانون ؟

_ هناك عادات شعبنا ، كما أن هؤلاء الذين يرتكبون خطأ يقتلون !

_ کیف ا

قالت: نعم . هى ملكتنا . ، ولكننا قليلا جدا ما نراها . مرة واحدة نقط كل سنتين أو كل ثلاث عندما تأمر بعوت بعض الناس!

_ كيف بندو شكلها ؟

_ لست ادرى ، انها دائما مفطاة بحيث لا يستطيع احد أن يرى وجهها ، يقال انها جميلة جدا ، وانها تعيش الى الأبد وأن لها قوة على كل الأشساء .

وهكذا مرت اربعة ايام قبل ان تبدأ الأشياء في الحدوث . سرنا على اقدامنا وساءلت « أوستين » والآخرين ، وبدأنا نتحصل على صورة لهذا الشعب الذي لم يزره رجل غرب منذ مئات السنين . وبدأ أن هذا البلد مقطوع تماما عن العالم الخارجي . لا يستطيع أحد أن يعبر هذه الأراضي الواطئة الا أذا عرف الطريق وكل هؤلاء الذين حاولوا قتلتهم الملايا أو قتلهم الجوع أو الغرق .

كان (ليو) يشعر بعزيد من السعادة اذ برى جزءا من القصة يثبت أنه واقعى . ومن الواضح أن (جوب) لم يعرف كيف يفكر . كان يستطيع فقط أن تتساءل ويتعجب فقط .

وبدا أن (محمود » العربى كان جد خائفا . كان شعب الأحجار مؤدبين حياله ولكنهم كانوا شديدى البرودة . ولم استطع أن أعرف ماذا أخافه .

قال: أن هؤلاء الناس شياطين!

وكان هذا هو جوابه الوحيد ٠٠

وفي ليلة اليوم الرابع حدث شيء ••

(11) معركة في الكهف

كانت هى الليسلة الرابعسة . وكنا ثلاثتنا و «اوسستين » جالسين حول الناد ، ثم بدات و اوستين » تغنى بصوت خفيض . لم استطع أن التقط كل الكلمات . بدا أنها نوع من أغانى الحب . ثم سعت شيئا كالخوف في صوتها :

(هي التي أقوى قد أخذته . . هي التي أجمل
 مني . . وأنت استدرت وناديتني في الظلام ولكن » . .

وتوقف صوتها . كانت عيناها ثابتتين على شيء في الظلام!

أشارت اليه ولكننا لم نر شيئا . سال « ليو » : ما الأمر يا « اوستين »

- انه لا شيء . لمساذا اخفيك ! انى فقط اسالك أن تفكر في شاني عندما اكون قد ذهبت . .

وفى صباح اليوم التالى جاء حارسنا واخبرنى أن حفسلا سيقام تكريما لنا . وعسدما سسمعت و أوستين » هسدا رابت على وجهها نظرات رعب . امسكت بدراعه وكلمته ولكنه 'جابها بجفاف وكان واضحا أنها لم تكن سعيدة بدلك . حاولت أن اعتدر فقلت : نحن أناس هادئون ولا نحب الحفلات !

ولكنها استقبلت كلامي في صمت ..

أخبرونى قبيل الفروب أن كل شيء جاهز . كانت هناك نار كبيرة في الكهف . . وكان هناك خمسة وثلاثون رجلا وامرأتان يجلسون حولها . . كانت المراتان هما « أوستين » والمرأة التي جاءت الى « حوب » . . وبين الرجال كان « محمود » . .

قال « جوب » : انظر . . هذه امراتی تتحدث الی « محمود » . . انا سـعید لأنها لا تتحدث معی ان : ! !

نهضت المراة وكانت تقود « محمود » خارجة من الركن حيث كان جالسا وكان « محمود » فى حالة خوف هائــل .

قسات: لا يروق لى هسله المنظر هسل معك مسدسك يا « جوب » ؟

کان « جوب » معه مسدسه وکان معی مسدسی ایضا ، ولکن « لیو » کان معه سکین نقط ،

جلس الرجال هنساك في صمت تام بمررون أناء

من الشراب القوى فيما بينهم .. ولنم تكن هناك أية اشارة الى الطعام .. ولكن كان هناك وعاء حديدى كبير في النار وقضيبان طوبلان لرفعه .

وبعد وقت بداوا يفنون . غنى القائد :

اين اللحم الذى سناكله ؟

اجاب الآخرون : الطعام سياتى !

غنى القائد : كيف سياتى اللحم ؟

غنى الآخرون : سنقتله !

هل اللحى مستعد للطهى ؟

هل القدر ساخن لطهى الطعام ؟

انه ساخن ! انه ساخن !

قال « ليو »: انى اقول يا « موللى » . . تذكر الكتابة فى الصخلوق . . انها قالت : الرجال الذين يضعون القدور على رءوس الأجانب . .

واذ قال هــذا قفز رجلان وانتزعا القدر من

فوق النار . . وفى نفس اللحظة اخذت المراة التى كانت جالسة بجوار « محمود » حبلا من تحت ثوبها ووضعته فوق كتفه . كان الرجلان يحملان القدر الى المكان اللى كان يصارع فيه « محمود » وكانا يقصدان أن يضعا القدر المحمر من السخونة على راسمه ! . . لقد اعدت المراة ها لما تقام مما فعل « جوب » .

قفزت انا واطلقت النار على هذه المراة الشريرة التي كانت ممسكة بالقدر بين ذراعبها وسقطت بينما يقفز « محمود » عاليا في الهواء ، ثم سقط ميتا الى جوارها . لقد مرقت طلقتى ، التي اطلقتها من مكان قريب بهذا الشكل ، خلال الحثين !

امسك رجل جالس قربنا بحربته . . **صرخت :** احر . . !

وكان هنساك شرذمة من الرجسال فى مدخسل الكهف . وعلى ذلك جربت داخلا الكهف . واذ قفزت فوق جثة (محمود » احسست بحرارة القدر عند

قدمى . وفى نهاية الكهف كان يوجد رف يرتفع ثلاثة اقدام وعمقه ثمانية اقدام . ووصلنا اليه جميعنا وقفزنا فوقه على استمداد لنحارب حتى النهاية .

وتوقفت الزمرة لحظة عندما رأونا نواجههم . ونظرنا نحن الى صفهم الطويل من الأشباح التى تنتهى فى النار وكنا نستطيع أن نرى القادر المحمرة من السخونة وهى تلتمع فى ذلك المكان شسبه المظلم .

كان « ليو » ممسكا بمطواته في يده اليمني وقسال :

- وداعا یا « هوالی » . . لا فرصة لنا بازاء کل هؤلاء الناس الذین سیقضون علینا فی دقائق ویاکلوننا بعد ذلك . . اغفرلی انی اتبت بك الی هنا . . وداعا یا « جوب » . . ا

رفع « جوب » مسدستة واطلقت ثم وقع الإندفاع ..

قفز رجـل ضخم الى الرف الصخرى وغرس د ليو » سكينه فيه وعندما فرغ مسدسي استخدمت ساكنا وتظاهر بالوت . ضربت رجللا بعنف شديد بسكينى ولما سقط جذبت السكين منه . وقفز على رجلان . وضعت بدا حول كل منهما وسقطنا جميما على ارض الكهف معا ، بعضنا فوق بعض . كانوا رجالا أقوياء ولكنى كنت كالمجنون فى غضبى وكنت اشمعر بعظامهما تتحطم وانا اهصرهما وشعرت بهما يتوقفان عن الصراع ولكنى لم أجرؤ على تركهما .

المطواة ولا ادرى ماذا حدث « لجوب » . . اظن انه رقد

بعامها للحظم وال الحصرها وسعرات بها يتوفعان عن الصراع ولكنى لم أجرؤ على تركهما .

ادرت رأسى ورأيت أن « ليو » قد غادر الرف الصخرى أيضا . كان في وسط جمع يتصارع . ورأيت وجهه الجميل وتأجه من الشمعر الذهبى ، عالما فوق رءوسهم . كان يحارب بقوة تروعك رؤيتها . ثم فقد كمينه وظننت النهاية آتية . . ولكنه هرب وأمسك بجئة الرجل الذي طعنه توا ، ورفعها عالما في الهواء وقذفها نحو الطغمة فهوت بخمسة أو ستة منهم الى الأرض . . ولكنهم ، في دقيقسة واحدة ، وقفوا ثانية فيما عدا واحدا . عادوا اليه ثانية ، كلهم وفي صمت !! وسقط تحت وزنهم كأنه

شجرة هاوية . امسكوا بدراعيه ورجليه ..

صاح صوت : هاتوا رمحا !! رمحا لاقتله وقلرا لأمسك بدمائه !!

واغلقت عينى وسمعت صوت الصراع . وعندما نظرت من جديد كانت المراة « اوسستين » قسد القت بنغسها فوق « ليو » تحميسه بجسمها حاولوا ان يجدبوها بعيدا ولكنها وضعت ذراعيها حول عنقسه ورجليها حول رجليه وامسكت به .

صاح صوت : اطعن الرجل بالحربة هو والمراة وهكذا سيجمع بينهما الموت !

ورایت رجلا ومعه جربة بستعدل قامته ویرفع ذراعه ورایت ومیض النار فوق الحربة ..

(17) بعد العسركة

عندما فتحت عينى ثانية كنت راقدا على الجلد غير بعيد من النار . وقريبا منى رقد « ليو » وكانت عيناه لا تزالان مقفولتين وجلست « اوستين » بجوار» تفسل جرحا بجانبه .

وكان « جوب » واقفا خلفه يرتمش ولكن دون

أذى أصابه . وفى الجانب الآخر من النار كانت جثث هؤلاء اللين قتلناهم فى عراكنا الفظيع من أجل الحياة . عددتهم فكاتوا اثنى عشر بخلاف المراة وجثة « محمود » المسكين . والى اليسار كان عدد من الرجال يحرسون جثث هؤلاء الذين هاجمونا واللين بقوا أحياء ، وعلى مقربة منهم كان « بلال » يشرف على عمل تثبيت أذرع السجناء من ظفهم . رآنى حالسا فجاء نحوى وقال :

_ أرجو أن تكون أفضل ألآن!

... اشكرك أيها الأب لانقاذك أرواحنا! فقد كان هؤلاء الأوفاد الشياطين يستطيعون أن يقتلونا كما قتلوا خادمنا ..

سننتقم لخادمكم وسيذهبون اليها « هي » وسيتمنون أن لم تلدهم أمهاتهم قل لى ماذا حدث . . ؟ فانبأته بكل شيء .

قال: بجب أن تفهم أن هناك عادة أن أي

أجنبى يأتى الى هـذا البلد سيقتل بالقدر .. انا شخصيا اعتقد انها عادة سيئة شريرة وهى ــ التى ـ ينبغى ــ ان تطاع قد بعثت اوامر بأنك ان تقتل . هؤلاء السجناء سيتمنون لو أنهم هم أيضا قد قتلوا في القتال .

ومضى فقال: ولكن هل تعلم أيها « السعدان » الطويل الذراع أنك أنت قد حطمت عظيام هذين الرجلين الاثنين كما يحطم دجل قشر بيضية ، وأما الشاب ، هذا الأسد فقد كان من الجميل أن يراه المرء وهو يقف وحده ضد هذه الكثرة . . أنت وهو قد جطتماني صديقكما بهذه المعركة الباسلة !

ثم سالنى عن مسدساتنا ، كيف قتلت رجسالا على مبعدة . ولكنى كنت متعبا الى حد بعيد . .

فتح « ليو » عينيه وحمله « جوب » بمساعدة « اوستين » الى السرير . . وذهبت أنا الى الغرفة الصفيرة . وعندما جاء الصباح لم أشعر بأنى بصحة

جيدة تسمح لى بالاستيقاظ. وعندما جاء « بلال » تظاهرت باني مستغرق في التوم . ووقف ناظرا الي .

وفتحت عينى. وقلت: صباح الخير ابها الأب! ـ لقد جلت فقط لأرى كيف صحتك . لقد أمرتنى (هي) أن آتي بك مباشرة ولكنى لا أظن أنك
مكنك أن تتحرك .

قلت: ليس بعد ولكنى اتوسل اليك ان تجعلهم ينقلونى الى مكان فيه اشعة الشمس . . انا لا احب هذا الكان على الاطلاق!

فال: نعسم نعسم . . انه مكان مقبض عزين وعندما كنت صبيا وجدت فيه جثة امراة جميلة راقدة حيث ترقد انت . . واعتدت أن أجيء وأن أنظر اليها

هنا .. وبدت كانها ما تزال حية ولو انها كانت باردة فقط . كان جلدها أبيض وشعرها أصغر طويلا يكاد يصل الى قدميها . وقعت في حبها تقريبا .. ثم اكتشفت أمى ذات يسوم أين أذهب ، فأوقفت المرأة الميتة الى الحائط وأخذت مصباحا وأشعلت النار في شسعرها وأشستملت الجشة كلها وذابت كأنها من الشمع .. ! أن هؤلاء المحفوظين من التداعى يحترقون دائها بهذه الطريقة .. انظر ! .. هناك على السقف بمكن أن ترى آثار الحريق .. !

نظرت الى اعلى .. وكانت هناك علامة سوداء عرضها ثلاثة اقدام ..

فيال: عندما عدت كان كل شيء قيد احترق ما عدا القدمين . اخفيت قيدما منهما تحت الرف الصخرى . ربما كانت ما تزال هناك!

ووضع يده تحت الرف الصخرى حيث كنث ارف. . .

۔ هاك ا

(11) الرحلة الى كور

واحضروا لنا خمسة مقاعد نقالة . وكان هماك حرس من خمسين رجلا ليذهبوا معنا ..

سالت « بلال » : هـل سـتاتى « أوستين » معنـا ؟

قال: اذا ارادت .. انها ، بحكم قوانيننا

زوجته . انها فتاة شجاعة وهى تعب الأسلم ، وانقلت حياته . ومن حقها أن تذهب حيث بذهب هو الا . . اذا قالت (هي) لا !!!"

ونزلنا الى جانب التل ، ثم صعدنا الناحية الأخرى ، حيث كانت هناك ارض مديدة من الحشائش الخضراء تهبط بوداعة الى حيث رايت المزيد من الأراضى الواطئة . . وعبرناها ، ثم جئنا الى طرف الأراضى المشبعة بالماء وهناك استرحنا قليلا ثم مضينا . كانت اسوا من الأرض التي عبرناها في قاربنا وكانت رائحة العفن حولنا في كل مكن وتتحرك فيها ثمابين مائية سوداء بسرعة كبيرة . وكانت الأصوات الوحيدة هي أصوات الضفادع العالية وهي اكبر ضفادع رايتها في حياتي وقوقنا صرخات الطيور الهائمة في السماء . .

وصلنا عند الغروب الى قطمة الأرض الصلبة ، وكانت عبارة عن جزيرة صغيرة تقف وحيدة في الأرض المجورة . وهناك انفقنا اللبل واقفين أو راقسدين

حول التيران . . ولكن ظلت اصوات الضفادع مدة طويسلة هي وعضسسات الحشرات . واصسبع النسوم مستحيلا .

نظرت الى « ليو » الذى كان راقدا الى جوارى. وكانت عيناه تلمعان ووجهه أحمر وشفتاه جافتين . . كان مصابا بأزمة مالاربا حادة . وكان جد مريض . وجلست « أوستين » قلقة الى جانبه . .

واخسيرا نمت قليلا واستيقظت بينما كانت الشمس تصعد الى كبد السماء . كان « ليو » جالسا ممسكا براسه بين بديه . .

سالته: كيف تشعر الآن ا

اجاب بضمف :

انا جد مریض . . اشعر کاننی ساموت !

وكان « جوب » مريضا هو الآخر. . . ولكن ليس مثل « ليو » . .

سألت ((بلال)): هل يستطيعان أن بدهبا ؟

فاجاب: يجب أن يلهبا أن بقاءهما هنا معناه امت مدا

وصلنا اخيرا الى جزء خطير جدا . . فقد كان الرجال امامنا غائصين حتى ركبهم فى الماء . وسار امامنا مرشدان بعصى طويلة يجربان الأرض وهما يسيران . . ثم سمعت صرخة مفاجئة ثم كثيرا من المسياح . .

كان أحد رجال « بلال » قد وضع قدمه على ثعبان . وسقط الكرسى على الأرض وسقط « بلال » في المساء وعندما تمكنت من الذهباب الى طرف الماء لم بكن من المكن رؤية الرجل أو « بلال » . . ولم يمكننا رؤية الرجل حامل الكرسى مرة ثانية واستطعت أن أخمن أين « بلال » الأنى استطعت أن أرى المقعد هناك في الماء وقطعة القماش التى وضعت فوقه لحمايته من الشمس ولكن « بلال » نفسه لم تمكن وؤيسه . .

وصرخ واحد من الرجال: انه هناك . . هناك ! ولكنه لم يفعل شيئا لمعاونته . .

صرخت أنا: انسحوا الطريق!

وقفزت الى المساء . وأخيرا وصلت الى المكان الذى كان « بلال » يناضل فيه تحت قطعة القماش وخلصته منها ثم جذبته الى الأرض ..

وقف هنساك والمساء القسلر بسسيل من فسوق راسسه ..

وقسال: يا الكلاب! انتم تركتمونى هنا ، انسا ابوكم ، لكى اغرق. . ساتذكر هذا! اما انت بابنى الها « السعدون » فانا صديقك الى الأبد . . لقد انقذت حياتى . . ربما ياتى يوم سانقذ فيه حياتك!!



(۱٤) مسكن ٠٠ ((هي))

وقبل الغروب جثنا من الأرض المنخفضة الى واد يرتفع الى أعلى فى شكل موجات . ووقفنا الليلة تحت بضعة أشجار . وطول الليل كنت مشغولا بمساعدة « أوستين » على رعاية « ليو » الذى كانت حالته سيئة جدا . . وفى صباح اليوم التالى كانت حالت قد ازدادت سوءا . .

وسريعا بعد شروق الشمس صعدنا الى قسة التل المعشوشب، وراينا اسفلنا بلدا غنيا بالحشائش والأشجار والأزهار . وعلى بعد مسافة كان هناك جبل مشكل تشكيلا غريبا جدا . كان على قدر ما تمكنت من الرؤية ، مستديرا تماما تقريبا ، وتقاس دائرته بحوالي سبعة اميال ، وصعدت جوانبه مستقيمة من الوادى كأنها جدران ، وقمة هذه الجبال تكاد تضيع في سحب الصباح المبكر ، واذ جلست في مقعدى ارقب « بسلال » الذي قال : هذا هو منزلها هي – التي – بجب ان تطاع !

قلت: انه رائع .. ولكن اعتقد أن تسلق هذه الصخور أمر صعب للغاية!

ــ انظر الى هذا الممر تحتنا ..

نظرت ورایت ما بدا انه نهر او نهر جاف أو ربما کان ممرا مائیا من صنع الانسان .

وشرح ((بلال)): في وسط حلقة دائرة الصخور كانت ذات مرة بحيرة وكان مركز البحيرة أعلى من هذا الوادى . والناس الذين بنوا مدينة « كور » شقوا ثقبا في قاع الجبل بحيث تدفقت المياه من البحية وصنعوا هذه الأراضي المنخفضة الخطيرة التي جئنا عليها . وعندما تدفق الماء كله من البحيرة تركوا معرا يستطيع الرجسال أن ينغذوا فيه الى دائرة الصخور وبنوا المدينة على جزء من مرقد البحيرة وكان الباقي حقولا لحيواناتهم وأراضي بستانية ..

انزلت مقاعدنا وجاء « بلال » واخبرنى أنه يجب تغطية عيوننا حتى لا نعلم اسرار المدخل . . فعلوا بنا هدا ثم بدانا من جديد . . كان شعورا غريبا هدا اللى احسسنا به أذ حملنا داخل قلب الصخرة .

لا نعلم ابن نحن ذاهبون . جلست وانسا استمع الى وقع خطوات اقدام الرجال واندفاع الميساه . وسريما ما بدا الرجال يفنون وبدت اصدواتهم غريبة وحزينة وهى ترن بين السقف الصخرى والجدران من حولنا . وظللنا نستدير الى هذا الطريق وذلك حتى لا استطيع ان احتفظ بخريطة فى ذهنى عن الطريق الذى سرنا فسه . . .

وبعد نصف ساعة شعرت أنسا خرجنا الى الهواء الطلق وبدا الضوء ملتمعا من خسلال القماش الربوط فوق عينى . ثم سمعت (بسلال » يعطى الأوامر برفع الأغطية عن عيوننا . .

ورايت أننا كنا الآن داخل جدران الصخر ..

ولم تكن هذه الجدران من الارتفاع كما كانت في الخارج ذلك لأن مرقد البحيرة كان أعلى من المركز . ونحو مركز الوادى ظننت أنى أدى خرائب وأطللا بينما كان بقيتها مقسما الى حقول وحدائق . ولم

يكن لدى وقت لأرى المزيد من المكان لأن جمهرة من سعب الأحجاد قد جاءوا والتفوا حولنا . وبدوا متشابهين مثل الناس الذين رايساهم من قبل في الكفف . .

ثم جاءت نحونا جماعة من الرجال المسلحين يقودهم ضابط بجرون نحونا . وبدوا انهم آتون من وجه الصخرة مثل طوابير النمل الآتية من تلالها . وكان هؤلاء هم جماعتها من الحراس . : وذهب قائد الحرس نحو « بلال » وحياه . ثم دارت الجماعة كلها وسارت على طول جانب الصخرة العالية وتبعهم حاملونا .

وبعد ان سرنا حوالى نصف ميل توقفت عند مدخل كهف كبير حوالى سستين قدما فى الارتضاع وثمانين فسدما عرضا . وهنا امرنا « بلال » أن ننزل . . ولكن « ليو » طبعا حمل الى الداخل ، وكان الجزء الداخل من الكهف تضيئه المصابيح ، وكانت جدرانه مزينة بالصور ، وغالبا ما تكون صور الصيد

أو الرقص وقلة من صور المارك . ومن هذه الصور الأخيرة فهمت أن قليلا من الجيوش قد جاءت الى هذه البلاد أن كانت قد جاءت على الإطلاق . وكانت هناك كتابات بين الصخور ولكن الحروف فيها كانت مجهولة لدى . .

وقابلنا خادم يرتدى الزى الأبيض وانحنى أمامنا ولكنه لم يقل شيئًا . وهذا لأنه ، كما علمت بعد ذلك، لم يكن يتكلم أو يسمع . .

وكان هناك معران يخرجان من الكهف الكبير . واحد منهما في كل ناحية . في الفتحة التي في الجانب الأيسر كان حراس . . واعتقد أن هـــذا المعر يؤدى الى المكان الذى تعيش فيه (هي) . . وابدى الخادم انه يجب علينا أن نعر في المعر الأيمن . . وجئنا الى ستار ، ومن ورائه وجدنا غرفة يتسلل اليها الفسوء خلال فتحة محفورة في وجه الصخرة . وترك « ليو » وبقيت معه « اوستين » . . ولو أن الخادم نظر اليها نظرة غريسة وقادنا الى غرفة أخرى حيث بقى نظرة غريسة وقادنا الى غرفة أخرى حيث بقى

« حوب » . . ثم الى غرفتين اخربين واحدة بختلها « بلال » والثانية لى . .

كانت هناك قدور ماء في جميع تلك الفرف ، وبذلك اخذت أنا و « جوب » حماما ، وكنا سسعداء أن ننظف أنفسنا ثانية . . وأذ انتهينا جاءت فتاة شابة وأدت أشارات لترينا أن الطمام كان جاهزا لنا في الفرفة التالية التي لم ندخلها بعد . . ويبدو أن الفتاة لم تكن قادرة على الكلام . .

وفى كل جانب من جوانب تلك الفرفة ، كانت هناك مناضد صخرية غريبة وفوق كل منضدة معر هوائى . وفى احدى المناضد كانت هناك امكنة حفرت على هيئة رجال . . مكان تستريح فيه الراس ، وآخر للأجزاء السفلى من البدن وموضع للجزء الأسسفل من البدن . . وكانت هناك صور حول الجددان . . وكانت هريبة غريبة جدا . . !!

بينت الصورة الأولى موت انسان في منزله ..

والثانية للرجل موضوعا على المسائدة الحجرية التى وصفتها ، وكان ثلاثة رجال يقفون جانبا يصبون السائل فى فتحة اجريت فوق قلب الرجل ، وقد غطيت انوف هؤلاء الرجال وافواههم لكانما تحميهم من البخار ورائحة السائل . . وفى الصورة الثالية نرى الرجل يوضع فى القبر وعند الراس والقدم مصابيع موقدة . .

كان واضحا لى أن هذه الفرفة كانت هى الفرفة التى عولج فيها الوتى ليحتفظ بهم بتلك الطريقة السحرية التى عرضها « بلال » فعلا .

ويمكنك أن تفهم كم كنت جوعان بعد رحلتنا... و « جوب » أيضا قد تأمل في تلك الصور!!

(١٥) (هي) تريد رؤيتك !

بعد تناول الوجبة جلست انا و « جوب » مع « ليو » لمدة ساعة . . ثم جاء « بلال » وقال بلهجة باللة الجدة :

.. أن هسله شرف أتيع لقلة من الناس .. « هي » قالت أنها ترغب في رؤيتك !

واظن انه قد دهش للطريقة الباردة التى اخلت بها هذه الأخبار . ونهضت لأتبعه واذ فعلت هملا رأيت شميلًا يلتمع على الأرض والتقطته . كان هو الخاتم الذى كان فى الصندوق الحديدى . . الخاتم مع العلامات « ابن الشمس » المنقوشة عليه واعتقد انه سقط من اصبع « ليو » اثناء مرضه وعلى ذلك وضعته فى اصبعى لكى ابقيه آمنا .

وجئنا للممر الثانى وذهبت امام الحراس .. م قابلنا اربعة خدم وكانوا رجلين وامراتين .. وانحنوا امامنا دون كلام . وذهب الرجلان الحارسان أولا ثم تبعتهما المراتان .. ومررنا امام ابواب عديدة عليها ستاثر فكرت انها لابد أن تكون غرف الخدم . ثم جئنا الى معر له باب وحارسان يقفان امامه . ومن خلال هذا الباب نفذنا الى غرقة كبيرة فيها ثمانى أو عشرة نساء ، معظمهن شابات جالسات يقمن بشفل الابرة .. لم يقلن كلمسة ، لم تكن واحدة منهن تنطق او تتكلم أو تسمع !

وفى نهاية الفرفة كان هناك ممر وبابه عليه ستاثر

غليظة . . وفي مواجهته وقفت فتاتان براسيهما منحنيين وذراعاهما على صدريهما ، واذ اقتربنا مدت كل منهما ذراعها وشدت الستائر وفتحتها .

ثم قام « بلال » بعمل غريب حقا !! .. نزل على يديه وركبتيه ومضى امامنا على هذا النحو ..

وقسال ناظرا الى اسسفل: الى اسسفل يا « سسعدون » . ، على يديك وركبتيك . ، نحن ذاهبون الى حضرة « هى » . . ولكنى لم ايد أن افعل هذا ، وشعرت بالخوف ولكنى مضيت اسير ببطء وراء « بلال » وشعرت بحماقتى بسبب المجىء الى هذه الغرفة وكدت أشعر بالرغبة في المضحك .

وتان فى نهاية الغرفة ممر وبلب عليه مستائر رفيعة لمع من ورائه ضوء ولم يكن أحد فى الفرفسة الانحن ..

وأخيرا وصلنا الى الستار وهناك تمدد « بلال » على الأرض . شعرت أن هناك واحدا ينظر الينا من التاحية الأخرى من للستار ، وبدأت أشعر بالخوف . . لست أدرى لماذا أ

كان الكان ساكنا الى هذا الحد . وكانت ثمهة دائحة غريبة . . وائحه ثقيلة . . واثحه ازهار . وشعرت بالمزيد من الوحدة . .

ومرت الدقائق ثم فتحت الستائر ..!

(١٦) وحيدا مع الملكة

قال صوت بالعزبية القديمة:

- أيها الغريب لمسلدًا النت خائف ؟!

وكان هذا اجمل صوت سمعته في حيسائي .. مثل همس جدول صغير .. او صوت مطر بسقط على المياه الساكنة .. مثل صوت طير هادي، يغرد عند

شروق الشمس . . مشل احب موسيقى تسممها اذنك . . !

ثم ظهرت يد بيضاء خـــلال الســــتائر وجلبتها وفتحتها . .

كان وجهه الملكة مغطى بقناع حريرى ابيض .. وكان جسمها مغطى .. كما تغطى جشة بثيابها الوقورة .. وحتى مع هذا استطعت أن اعرف أن الشبع الملثم أمامى كان شبع أمرأة شابة جميلة عندما حركت يدا أو قدما ، كانت هناك الرشاقة والرقسة ..

قالت مرة ثانية:

ـ لمـاذا انت خائف ايها الغريب؟!

ورفعت احدى ذراعيها وريت شسعرها الذي انهال على ثوبها الثلجي الى قدميها تقريباً ..

اجبتها: انه جمالك الذى يشعرني بالخسوف يا مليكتي! وسمعت « بلال » يهمس هناك على الأرض : حسن ٥٠ حسن يا «شعدان»!

قالت: ارى ان الرجال لم ينسوا كيف يتكلمون الكلمات الطبية!

وقبالت: والآن قبل لى .. كيف جئت الى هنسا! .. مباذا تريد أن تراه بمجيئتك الى هنا؟ .. لمباذا لا تفكرون كثيرا بأنفسكم حتى وضعتم انفسكم تحت رحمتها .. تحت رحمة « هى ـ التى ـ يجب أن تطاع » ؟ .. وكيف استطعتم أن تعرفوا لفتى بهذه الجودة ؟ .. أنها لفة قديمة .. أهى لفة حية في العالم إلى الآن ؟!

ثم نظرت الى « بلال » : آه . . أنت هناك . . قل لى لماذا هوجم هؤلاء الرجال وتعرضوا للقتل بالقدور ؟ . . ما معنى هذا ؟

وقال دون ان يرفع راسه: قادت هؤلاء الرجال امراة كانت غاضسبة من « جوب » . . ولكن هسلا

الرجل ، « السعدان » والآخر ، « الأسد » قتلا المراة وحاربا حربا جريئة حتى جئت وانقذتهم . . وكل الأشرار الذين اشتركوا في الهجوم عليهم قد جلبوا هنا الى « كور » لكي تنزلي عليهم حكمك !

_ اعرف ذلك . غدا سأحاكمهم .. لما أنت قاني أغفر لك ولكن كن اكثر حلوا !

ونهض « بلال » على ركبته وانحنى مرتبي ثم استدار وخرج من الغرفة بنفس العليقة التي دخل بها ...

واصبحت وحدى مع الملكة المخيفة ا

(١٧) عائشة ترفع الحجاب

قالت: أن الرجل ذا اللحية البيضاء . . ذلك المجوز الأحمق قد ذهب . . وأنا تعبت من انحنائهم لى وخوفهم منى . . وأسسعر فى بعض الأحيسان أنى استطيع أن أنزل عليهم بما لدى من سحر . . فقط لكى أدى وجدوه الآخرين تتحول ألى بيضساء من المخوف . . !

وفتحت الستار جانبا حتى استطبع أن أدخل المرفة التالية ..

ووراء الستار كانت هناك غرفة ببلغ اتساعها حوالى اثنى غشر قدما . . على جانب منها كان مقمد ومائدة محملة بالفواكه . . وجرة ماء . . وتفىء الكان مصابيح خافتة الأضواء .

قالت: اجلس .. لا سبب لديك يدفعك الى الخوف منى .. واذا كان لديك سبب فلن تخافنى زمنا طويلا لأنى ساقتلك! الآن قل لى .. كيف استطعت أن تتكلم لفتى ؟

قسات: لقد درستها . . ولا زالت هي لغة الكلام في مصر!

ـ آه . . الازالت هناك مصر ؟! الايزال يحكمها الفرس ؟

ــ كلا . . خرج الغرس من مصر منذ اكثر من الغي عسام .

اما تزال اورشلیم باقیة ۲ لقد ظلوا یتخدثون
 معلم عظیم وزعیم کبیر سسسوف یاتی . . اتراه
 قد حاء ۲

السيد المسيح جاء ٠٠ ولا تزال تعاليمه قائمة
 العالم .

- آه لقد كان هذا بعد زمنى .. كنت فى أورشليم ذات مرة .. وألقوا على أحجسارا لانزال آثارها على ذراعي انظر!

وسحبت الفطاء وبينت لى علامة حمراء صغيرة على بياض جلدها ..

امتلات فزعا وخوفا وعجبا **وقلت :**

- ولكن أيتها الملكة لقد مر نحو الغين من السنين مند أن ظهر السيد المسيح في أورشسليم . كيف تستطيع أمرأة أن تعيش الفي عام ؟!

ونظرت الى وبدا ان عينيها تغتشان عن قلبى وقالت:

. أيها الرجل الأحمق . . ألا تزال تعتقد أن كل شيء يموت ؟ لا يوجد هناك شيء اسمه الموت . . أنه فقط تغير . . سنة آلاف عمام مضت على الناس اللين وسموا هذه الصور على الجدران . . الكل ماتوا بسبب مرض خطير . . الا أنهم ليسوا أمواتل . . ربا انجلبت أرواحهم نحونا في هذه الدقيقة !

ونظرت حولها وقالت:

ـ فى بعض الأحيان يبدو لى أن عينى يمكن أن تراهم . ولكنهم موتى بالنسبة الى العالم . . انهم موتى النسبة الى العالم . . انهم أن عائشة . . هذا اسمى !! . . أنا عائشة انتظر واحدا أحببته أن يولد من جديد . مات منذ الفي عام . لماذا تتوقع أننى وأنا التي بهذا الجمال وبهذه القوة أعيش هنا مع شعب متوحش . . !!

قسلت: لا أعرف.

اجابت : ذلك لأننى انتظر هــدا الذي أحبـه

لأننى أعرف أنه عندما يولد من جديد سياتي الى .

قسلت: اذا كنا نحن الرجسال نولد من جديد لمساذا لا يكون هذا حقيقيا بالنسبة لك ؟ انك تقولين انك لم تموتي ابدا !

ـ هذا حقيقى . . لأنى عرفت سر الحيساة . . والمراد اخرى كثيرة ايضا . . امتعجب الت كيف عرفت انكم قادمون الى هـذه البلاد وهكذا القدتكم من شعب الأحجار . . ؟ انظر الى هذه المياه !

وقفت ونظرت فى مياه الدورق ووجدت الماء وكان يسود ثم يتضع ثم رأيت قاربنما فى الماء وكان الو » راقدا فيه ، نائما ورأسمه مغطاة لابساد الحشرات . وأنا و « جوب » و « محمود » نجر القارب . .

وصرخت انبا قائلا: ما هذا ؟ اهو سحر ؟ اجابت: كلا انه ليس سحرا ٠٠ انما استطيع ... أن أستدعى صورا من الماضى .. ولكنى لا استطيع أن أرى ماذا سيحدث غدا .. رأيت تلك الصورة فى الدورق وعلى ذلك فقد أرسلت وأنقلتكم .. قلل لى .. كيف حال هلدا الشاب الذى كان نائما فى القارب ! إنا أحب أن التقى به .. ولكنهم أخبرونى أنه مريض ومجروح .

قلت: انه جد مريض .. الا تستطيعين أن تفعلي شيئًا من أجله ؟!

دعه ينام .. يوما آخر ، من الأفضل أن يقاوم المرض بمحض قوتسه .. ولكن أذا لم يستطع فسوف أذهب اليه .. من الذي يعتني به الآن أ

ـ خادمنا « جوب » . . وهناك امراة من شعبك اسمها « اوستين » با مليكتي . . !

 المساضى ! . . اما عن « أوستين » . . فلقد أخبرونى ذات مرة عن خطر عظيم يأتينى عن طريق امراة . . . وانى أتساءل . . .

ثم تو قفت وقالت: « سارى » ..

ونظرت في المساء وقسالت: انظر .. ثم قالت بسرعة .. هل هذه هي المراة ؟

ونظرت فى المـاء ورايت وجه « اوستين » وهى تنظر برفق الى شخص اسفلها ..

قلت: نعم . . انها تراقب « ليو » وهو نائم !

قالت: « ليو » ؟ الأسد . . ان الأمر غريب . . ولكن هذا مستحيل . .

ومررت بدها وتلاشت الصورة . . ثم قالت :

ـ الديك شيء ترغب أن تسالني عنه با « هوللي »
قبل أن تذهب . أن شعب الأحجار شعب متوحش . .
انهم لا يعلمون شسيئا . . وخدمي لا يستطيمون أن
يسمعوا أو يتكلموا . . هل هناك شيء أ

أجبت: نعم يا « عائشة » . . اريد أن أنظر الى وحمك !

ضحكت وقالت هناك قصة اغريقية عن رجل مات لأنه انكشف على قدر هائل من الجمال .. لو اربتك وجهى ربما إصابك اذى !

أجبت: أنا لست خائفا من الجمال! . . لقد تخليت عن مثل كل هذه الأمور . . فان الجمال كله يزول كما تذوى الأزهار . .

ورفعت ذراعها وجذبت ببطء نقابها .. رباه كيف يمكن أن يكون هناك مثل هــذا الجمال ؟!! لا استطيع أن أصفه .. وكيف يمكن أن يكون مثل هذا الجمال شريرا ؟!

وظللت وقتا لا استطیع آن آبعد عینی بعیدا عنها . ثم وضعت یدی آمام وجهی . وعندما فعلت هذا رأیت ، من خلال اصابعی ، تغییرا کبیرا پطرا علیها کانت عیناها مثبتین علی شیء بنظرة فزع .. قلت : التقطته!

قالت: هذا امر غريب ، غريب جدا . رايت حجرا مثل هذا مرة مع كاليكريتس . . كان يلبسه دائما . . وكان يقيمه تقييما عظيما جدا . . اذهب! . . اذهب . . !!

(۱۸) لعنة عائشة

لم استطع أن انام بعد ليلة كهذه . رقدت على فراشى متيقظا . وأخيرا فى النهاية فكرت أن من غير المجدى أن أنام . وقررت إن أقوم وانظر كيف أصبحت صحة « ليو » . . وذهبت فى هداوء الى فرفته . .

کان شدید القلق . والی جانبسه جلست اوستین » نصف نائمة . کانت ممسکة بیده .. اما « لیو » المسکین فقد کان وجهه یشتمل حمرة » کانت هناك ظلالات داکنة تحت عینیه . وکانت انفاسه ثقیلة . . کان مریضا . . وهبطت علی نفسی مشاعر فظیمة بانه ربما کان یحتضر .

عدت الى غرفتى بنفس الهدوء الذى جئت به .. ولكنى مع ذلك لم استطع أن أنام . وفجأة لاحظت بابا ضيقا قائما في الحائط .. أخذت المسباح ورحت اتحقق من أمره . أنه ليس من المامون في بلد غريب أن يكون هناك ممرات تؤدى الى غرفة نومه من حيث لا يعرف الانسان .. مررت في المنفذ وقادنى هذا الى سلم .. وفي نهاية قاع السلم .كان هناك ممر أصغر منحوتا في الصخر . . لا يجب أن أذهب » .. هكذا فكرت بعد أن أصبحت وسط هذا الكهف الكير ..

واذ ذهبت حول زاوية احد الأركان ، هبت فجاة ربح اطفات المصباح . . ووجدت نفسى غارقها في

الظلام .. ونظرت امامى فى هذا الظلام وبعيدا رأيت وميضا ضعيفا لنار .. وفكرت ربعا استطعت أن أوقد مصباحى هناك ثانية .. وهكذا تحسست خطواتى خطوة خطوة بقدمى ومحتفظا بيدى على الحائط .. ومضيت الى الأمام بحذر ..

رأيت ستارا من ورائه تلمع نار .. وكان ضوء النار شديد البياض ولم يكن هنساك دخان .. والى البيسار كان هناك رف صغير وفوقه كانت جثة انسان مغطى بقماش ابيض .. وكانت هناك امرأة جالسسة الى جوار النار . كانت فى الحقيقة جالسة بالنسبة الى فى مواجهة الرجل .. ثم وقفت . وكانت (هى) كان متغيرا .. كانت تبدو مليئة بغضب مجنون .. ومع ذلك رأيت فى عينها فزعا والما اكبر كثيرا مما يحتمل المرء .. رفعت ذراعها وسمعتها تهمس مها يحتمل المرء .. رفعت ذراعها وسمعتها تهمس

لأن سحرها أنقذها منى لأنها اخلت منى حبيبى . . اللعنة عليها وهى تبوت ، واللعنة عليها وهى تولد ثانسة . .

قالت هذا مرة ومرة اخرى ثم بدأت تبكى وقد جلست جوار النار: الفا عام والحب ياكل قلبى . . انتظرت الفى عام . . الفا عام والحب ياكل قلبى والشر الذى فعلته أبدا قبلى أو امامى . . ان الزمن لا يجلب الففران . . آه يا حبيبى لماذا قتلتك ولم أستطع أن أموت ولكن ، وااسفاه ، لا استطيع أن أموت !!

ثم ذهبت الى الكان حيث كان الرجل الميت راقدا وصرخت تقول: آه يا كاليكراتيس يجب ان انظر إلى وَجِهِك!

وسحبت الفطاء ثم هوت على ركبتيها الى جانب الرجل الميت وضفطت شفتيها على الجثة الخاليسة من الحياة وبكت . .

(19) حسكم عائشة

عندما فتحت عينى كان « جوب » في الكهف .. لبست ثيابى وتناولت بعض الافطار ثم ذهبت لرؤية « ليو » وسالت « أوستين » عن حاله .. ولكنها هرت رأسها وبدأت تبكى .

وعندما ذهبت الى هنساك اتجهت الى الكهف

الرئيسى وكان مليئًا الآن بشعب الأحجاد . ومردنا خلال الزحام حتى وصلنا الى مكان مرتفع فى النهاية . . وكانت هناك معرات كثيرة .

قال « بلال » : ان هذه المرات تؤدى الى كهو ف مليئة بالجثث !

واضاف : الواقع هو إن الجبل كله ملىء بالوتى . . ولكن هؤلاء الوتى كلهم محفوظون حفظا الما !!

وعلى الجزء المرتفع كان هناك كرسى مصنوع من الخشب الأسود . . وفجاة دوت صرخة : « هى اهى ! » والتى الناس جميعا بانفسهم على الأرض وبقيت انا وحدى واقفا ! . . وجاء صف من الحراس من مهر الى اليسار . . وكانت تتبهم عشرون خادمة ثم عشرون خادمة يعمل مصابيح وفي النهاية جاءت عائشة نفسها مقنعة من رأسها الى قدمها . وجلست على الكرسى ، ثم تكلمت الى باللغة

اليونانيــة ، واعتقد انهــا لم تكن تريد للآخرين ان يفهموا شيئًا مما يقول .

سیا « هوللی » . . تعال هنا . . واجلس عند قدمی . . وانظر الی کیف احاکم الفسدین . . هـل نمت نوما جیدا یا « هوللی » ؟ !

قلت: ليس جيدا ..

فقالت :

ــ أنا أيضا نمت نوما ردينا .. لقد مرت بى أحلام كثيرة .. حلمت بواحد أكرهه وواحد أحبه .. فليتقدم الرجال!

وعندما احضر الرجال قالت عائشة لى: هـل تعرف هؤلاء الرجال قل لى ماذا حدث!

ففلت بأوجز عبارة ممكنة .. وسمعت قصتى في صمت تام .. ثم قال « بلال » القصة نفسها من وجهة نظره ..

قالت « هى » قى صوت كبرودة الثلج : مساذاً لدنك من قول ؟

لم يكن هناك من جواب . تم طالب احد السجناء بالرحمة . وساد صمت . ثم وقف السجناء هنا برؤوس منحنية . وظل الناس يلقون بانظارهم الى الأرض ناظرين خالال أصابعهم الى اللكة . . ثم تكلمت :

- سيؤخذ بهم الى ساحة الموت! .

ورجونها أن تأخذها بهم شفقة ..

واجابتنى بالاغريقية: لا يمكن ان يحدث هذا . . فلو بينت لهم رحمسة لأصبحت حيساتكم مهددة بالأخطسار . . !

واستدارت الى الكابتن وقالت : خدمم !!

(20) كهسوف المسوتي

اقتيد السجناء بعيدا . . وذهب الحراس . . وخرج الناس من القاعة على أيديهم وركبهم . . وتركونا وحدنا فيما عدا خادمين . ووقفت الأنصرف فقالت :

۔ ابق یا « هوللی » . . اتحب ان تری بعضا من عجائب هذا الکان ؟ انظر الی هذا الکهف ! عشرات

(م ۱۰ ـ هی أو عائشة)

من آلاف الرجسال عملوا سنوات ليصنعوها . . أن اهل مدينة « كور » مثل قدماء المصريين . . يبدو انهم كانوا بفكرون في الموتى اكثر من الأحياء !

. وأشارت الى بعض الكتابة على الجدران ، ورفع خدمها مصابيحهم وقرات (هي) لنا ما هو مكتوب:

« فى هذا العام ، اربعة الاف ومئتان وخمسون عاما .. منذ بناء مدينة « كور » .. وهـذا الكهف هو مقر راحة ابدى للموتى وقد بنى على يد الملك تسنو ، ملك كور » ..

وقادتنى الى وسط الكهف حيث كان هناك حجر مستدير في الأرض . وكان هناك مربع من الكتابة على الجدران قربه . وقرأت ((هي)) :

« أنا جونيو ، كاهن مدينة « كور » أكتب هـذا بعد أربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة أعوام منذ بناء هذه المدينة . . سقطت « كور » . وهـذا هو قبر شعبها . ومنذ عامين جاءت سحابة على مدينة « كور » ووقع على الناس مرض غريب . . انقلب لونهم اسسود

وماتوا . ماتوا . الأغنيساء والفقراء ، المسنون والنسباب . وكان الموتى اكثر من أن يحتفظ بهم حسب عادات شعبى . وهكذا القيت الجثث في حفرة عميقة تحت الحجر المستدير . القلة الباقية اللين بقوا ذهبوا الى الساحل واستقلوا سيفينة وابحروا متجهين شمالا . انا جونيو الذي يكتب هيذا آخر رجل نرك حيا في هذه المدينة العظيمة » .

ـ هل فكرت با « هوالى » أن شعب « كور » الذى أبحر شهمالا هو الذى أبحب المصريين القدماء الأوائل ؟ تعال وسأريك الكان المميق الذى تتحدث عنه الكتابة .

تبعتها الى ممر جانبى وهبطنا بضع درجات ثم سرنا فى ممر يتجه الى اسفل وفجاة انتهى المر . . ورفع الخدم مصابيحهم ورأيت منظرا لن أراه مرة ثانية أو أرغب فيه . . .

كنا واتفين على طرف حفرة عميقة في الصخر..

وهميقة بحيث ان كنيسة القديس بول فى لندن كان يمكن ان توضع فيها . ولكنى رايت أنها ملئت بكومة كبيرة من العظام ، آلاف الأجداث من العظام الميتة وبعض العظام بيضاء وبعضها بجلد جاف لايزال ملتصقا بها . .

اطلقت صرخة عجب وخوف . وكان لصوتى مسدى يدوى فى فضاء هــذه الفرفة . . وتدحرجت رأس كانت قد بقيت آلاف السنين ساكنة على قمـة الكومة . . وتدحرجت احجار اخرى كثيرة كانت تسقط فى اثرها كما او كانت الحياة قد دىت فى الكان كله .

قسات: دعینا نذهب ، لقد رایت ما فیسه الکفاسة ..!

والتفت الى ممر جانبى يؤدى الى مكان بعبد عن الطريق الذي جثنا منه . .

قسالت: حتى عند حدوث المرض العظيم احتفظ شعب كور دائما بموتاهم . . وسترى !



كانت معلوءة بكومة كبيرة من العظام ٠٠

ودخلنا غرفة صغيرة مثل هذه التى نمت فيها عند أول وقوف لنا بالكان . ولكن كان فيها رفان حجريان وعلى كل رف منهما يرقد حسد مفطى بقساش . . .

قالت: ارفع الغطاء يا « هوللي »! ...

وعندما تأخرت أنا جلبته « هى » نفسها .. وهناك رأيت أمرأة راقدة وكانت فى حوالى الخامسة والثلاثين من العمر ، وكان وجهها بادى الكمال .. كما فى الحياة .. كما لو كانت نائمة .. وفى ذراعيها طفل ضغط بوجهه على صدرها ، منظره جد جميل وحزين بحيث ادرت وجهى بسرعة !

وعلى الرف الآخر كان زوجها وهو رجل عجوز وذقنه شيباء .. اعتقد انه قد مات منذ عدة سنين وجاء أخيرا ليستريح بجانب زوجته وطفله ..

دهبنا الى عدد من القابر الماثلة ، في بعض منها

كان « الحفظ » سيئًا . . وبلمسة واحدة تسقط الجثة غبارا . . ولكن معظمها وكأن الموتى المحفوظون فيها في حالة نوم . .

وقالت اخيرا: تعال . . ساريك « تيساو » الملك العظيم !

قلت: لقد رأت ما فيه الكفاية .. خذبنى سدا .. !!

(۲۱) « عائشة » . . و « ليو »

عندما عدنا الى غرفة « عائشة » اسستدارت نحوى وقالت :

ـ سآتی وساری هـذا الشاب الذی تسمیه الأسـد . . لابد أن یكون المرض قد سار فیه سیرته ، واذا كان سیموت فانی سانقذه . . اذهب الیه ا وساتی

عندما اكون قد جهزت ما نحن في حاجة اليه .

ووجدت « جوب » و « أوستين » في حالة من الحزن وقالا:

ــ « ليو » بموت !! لقد كنا نبحث عنك في كل مكان ..

رأيت أنه فى خلال ساعة ، أو ربما فى بضع دقائق سيكون من المستحيل معاونته . وكنت شديد الغضب لأنى تركته . كان « جوب » يبكى بصدوت مرتفع . وعندما نظرت اليه خرج ليخفى نفسه وأحزانه . ثم عاد جاريا وقد وقف شعر رأسه من الغزع!

صباح: الا فليساعدنا الله يا سيدى . . ها هنا واحد من القبر قادم من المر أعونا . . !

علمت أنه لابد أنه رأى « عائشة » في ملابسها القبرية .. جاءت ألى الفرفة .. وجرى « جوب » خالفًا مرتاعًا إلى الزاوية .

قلت: لقد جنت فى الوقت المناسب يا عائشة.. ذلك أن الولد برقد الآن فى لحظات الموت!

قالت: اذا لم يكن ميتا بالفعل فانى استطيع أن أرده الى الحياة . . قل لهذا الرجل وهده الفتاة أن تركانا . .

وكانت « أوستين » مقسمة النفس بين خوفها من المكة وقلقها على « ليو » .

_ اليس من حق المراة ان تبقى مع رجلها ؟ قالت عائشة: اذهبى!!

وعندئذ هوت « اوستين » على يديها وركبتيها وخرجت من الفرفة . .

ذهبت عائشة الى السرير الذى رقد عليه « ليو » وجذبت الغطاء لتنظر الى وجهه . سمعت صرخــة مدویـــة ورایتهـــا تســـقط الی الخلف کمـــا لو انها صعقت . . !

قلت: ما الأمر با عائشة ؟ أهو ميت ؟

قفزت نحوى كحيوان غاضب: يا كلب؟ لماذا اخفيت عنى هذا؟ ها هنا يرقد « كاليكريتس » الضائع الذى جاء الى في النهاية!!

ثم بدات تبكى وتضحك . . مثل أية امرأة أخرى في لحظة سعادة كبرى . .

قسلت: اذا لم تغملی شیئًا تساعدین به رجلك « كالیكریتس » فانه لن یلبث آن یضیع ولن تنفعه مساعدة . .

أخذت وعاء من تحت ثوبها وقالت:

 کان هذا هو الوقت الملائم فقد کان وجه « ليو » رمادی اللون . وبدات انفاسه تهوی وسقط فهه مفتوحا وامسکت عائشه براسه وصبت السائل في فهه .

وطرا عليه تغيير طغيف اصبح وجهه ازرق ؛ وبدات ضربات قلبه التي كانت ضعيفة قبل هـدا ، بدت وكانها تتوقف . ونظرت الى عائشـة . كانت ما تزال تمسك برأس « ليو » . وكان وجهها أبيض وعيناها عميقتين كبحاد الحب والخوف . . وكانت لا تعرف اذا كان سيعيش أم سيموت . .

ومرت خمس دقائق . ورأيت أنها تفقد الأمل.. قسلت : هل تأخر الوقت ! ؟

أخفت وجهها بيديها ولم تقدم اجابة .

ثم سمعت نفسا يجذب بعمق ورايت حين نظرت إلى اسفل خطا من اللون يظهر في وجهه بطيئا .

' همست : لقد انقد !

وبدات تبكى كما لو كان قلبها قد بدا يتفجر ثم توقفت .

سينام اثنتى عشرة سياعة . . وعندما
 يستيقظ سيكون المرض قد تركه !

ووضعت يدها على رأســـه ولمست شــــمره الذهبي . . ثم قبلته برقة بالغة ووقفت !

(۲۲) اذهبی یا امرأة!

شعب الأحجار تعتبر زوجته ، ولكني لست أدرى ..

واسود وجهها من الغضب وقالت: واذن فانها سجب أن تبوت!

صرخت قائلا: لماذا ؟ لماذا ؟ اماذا ارتكبت من خطسا ! ؟؟ ام تراك سستظهرين سسعادتى بعودة «كاليكريتس» بأن تقتلى شخصا يحبسه . . تقولين الك في الماضى قد ارتكبت شيئا خطيرا الى همذا الرجل ، وانك بيديك قتلت هسمذا الرجل بسبب « آمنارتاس » المصرية التي احبها .

ــ كيف عرفت هــذا ؟ . . لم اقل لك هــذا إبدا !

وكانت هذه مفاجاة لى !! فانا لم اقل شيئا ابدا عن الصندوق الحديدى والأشياء التى يحتويها . قسلت : ربما جاءتنى هذه الأشياء في الحلم . . ولكنها لم تكن تصغى الى . . ووقفت صامتة لحظة ، ثم بدت كانها تفكر بصدوت مرتفع : « نمم سأسلك سلوك الرحمة . . فلست امراة فاسية ولا احب أن ارى الآخرين يتعذبون أو أن أكون سببا في ذلك » .

ثم استدارت الى وقالت: دعها تأتى بسرعة قبل أن أغير ألى !

وخرجت بسرعة الى المعر وناديت « أوستين »... فحرت نحوى وقالت:

- هل مات سيدى ؟ قل انه ليس ميتا !! - انه حى . « هى » قد انقذته . .

وهوت « أوستين » على بديها وركبتيها عندما وجدت نفسها أمام عائشة ...

قالت عائشة في ابرد صبوت لها: تفي ! . . تعالى هنا . . من هذا الرجل ؟ !

ے انہ زوجی . اخدته بناء علی عادات شعبی · ںا ملیکتی !

- لقد فعلت فعلا شريرا بان اخدت هدا الرجل الذى هو غريب عن البلاد . . انه ليس واخدا من شعبك . . والقاعدة لا تنطبق عليه ، عودى الى مكانك ولا تجسرى مطلقا على الكلام معه أو رؤيت مرة أخرى . . أذهبى !!

ولكن « أوستين » لم تتحرك ..

ـ اذهبي يا امراة !!

ورفعت « أوستين » رأسها . وقالت :

ــ كلا لن اذهب . . انه زوجى وأنا أحبه ولن أتركه وليس لك الحق في أن تأمريني بتزك زوجي !

وقلت أنا: الرحمة يا عائشة الرحمة !!

قالت عائشة ببرود: لو لم تكن عندى رحمة لكانت الآن من الأموات . . اذهبى يا امرأة . . قبل أن ادمرك !!

.. كلا لن اذهب .. انه رجلى .. رجلى انا .. لقد انقلت حياته .. ان اذهب ابدا .. ابدا !!

وخطت عائشة خطوة نحوها بهذه السرعة التى استطع أنا رؤيتها .. ويبدو لى انها ضربت الستين » بخفة على راسسها بيدها .. ووضعت الفتاة يديها على رأسها وسقطت الى الوراء .. ونظرت أنا اليها وأطلقت صرخة ، ذلك أنه هناك فوق شعرها الداكن ثلاث من علامات الاصبع ، بيضاء كانها الثلج ..

وضحت عائشة: انظنين ايتها الفتاة الطائشة . أننى لا استطيع أن أقتل أ انظرى في هذه المرآة . . ثم اذهبى الآن قبل أن أضربك مرة ثانية !!

ونظرت « اوستين » في مرآة « ليو » الملقسة على الحائط .

ــ لو رایتك مرة اخرى فستكون عظامك اكثر بیاضا من الملامات فوق راسك ! وخرجت الفتساة المسكينة من الفرفة وهي تجرى . . واستدارت عائشة نحوى وقالت :

سسسانيء خدمى ان يحملوا سسيدى « كاليكزيتس » الى غرفة بالقرب منى حتى استطيع ان اسهر عليه حين يستيقظ . . وستأتى انت ايضا . ومعك خادمك . . ولا تقل « لكاليكريتس » كيف ذهبت هذه المراة ولا تقل الكثير عنى !

وخرجت ، وبعد ذلك بفليل جاء الخدم لينقلوا حوائجنا ..

(٢٣) حفيلة الرقص .

جاءت اللحظة التى رات « عائشة » ان « ليو » سوف يستيقظ فيها وقالت :

ـ سترى يا « هوالى » أنه عندما يستيقظ سيكون المرض قد تركه . . !

واذ قالت هذا كان « ليو » قد اســـتدار وفتح

هينيه . . وقال لتوه اذ لمع « عائشة » : هاللو « اوستين » . . لماذا غطيت راسك هكذا ؟! . . هاللو « جوب » . . الى ماذا وصل بنا الحال .! ؟

فقال « جوب »: لا أعرف في الحقيقة ما سيدي .. ساذهب وأحضر لك بعض اللبن .!

ونظر « ليو » مرة أخرى إلى « عائشة » وقسال:

ـ ليست هذه « أوستين » . . أين « إوستين »؟

قالت ((عائشة)): لقد ذهبت وأنا الآن مكانها!

وبعد ذلك بقليل خر « ليو » نائما من جديد . .

وفى اليوم التالى كان بخير تقريبا وكان جرحه قد اندمل .. وظلت « عائشة » تعنى به .. ولكنه استمر يسأل عن « أوستين » .

وكان شديد الفصيول حول « عائشة » وطلب كثيرا أن يرى وجهها .

ومع أنى لم أقل شيئًا فقد اعتقد أنها كانت السيدة التي تكلم عنها الإبريق المحطم .

وفى اليوم الثالث ، بعد أن انتهينا من تناول الافطار ، ذهبنا الى غرفة (عائشة » كان (ليو » يريد أن يقدم اليها شكره على أنها عملت على شفائه.. ولكى يسألها عن (اوستين » ..

قالت ((عائشة)): احبيك . . كما انى سميدة لروبتك بخير من جديد !

انحنى لها « ليو » ثم شسكرها من جديد على ما فعلت . . وقال لها هذا بأفضل ما لديه من صيغة عربيسة .

واجابته هي قائلة : ارجو أن يكون خدمى قد بدلوا اقصى وسعهم للمناية بك . . أهناك شيء يمكن أن أقمله من أجلك . . ؟

قال ((ليو)): نمسم اريد أن أعسرف أين هي السيلة ، أعنى (أوستين) التي كانت معي . . ؟

لم يكن « ليو » يستطبع أن يلقى المزيد من الأسئلة . وأرسلت « عائشة » خادمتين ليحضرا المصابيح ويرشدا إلى الطريق . وعرضت عليه الكتابة المدونة في الكهف الكبير ، وعلى الحجر المستدير ، وفي الكان العميق . . وعرضت عليه أيضا الكثير من الموتى المحفوظين في الكهوف . . وكان « ليو » طبعا شديد الإنبهار بكل ما رآه إما « جوب » فقد أصابه الوعب .

وبعد أن تناولنا وجبتنا بقينا قليلا ثم عندما جاءت الساعة السادسة ، عدنا الى غرفة عائشة . . وكان « جوب » ما يزال مرعوبا اذ جعلوه ينظر الى

« صسور موجودة في الماء » .. ثم جساء « بلال » ليخبرنا بأن الرقص على وشك ان بيدا .

كان الرقص سيدور في الهسواء الطلق في المكان الفسيح الواقع امام المفارة .

وكان الليل يوشك أن ينسدل . . وتساءلت أنا عما يمكن أن تكون قادرين على رؤيته من الرقص .

وفجأة رأينا رجالا يعدون من كل مكان حاملين أشياء تشتمل فوق اكتافهم .. ثم أخلوا يلقون هذه الأشياء في أكوام وسط المكان الفسيح . وكان « ليو » أول من اكتشف حقيقة ما يحملون .

صاح قائلا: يا للسماء . ! هذه الأشياء المستملة هي أجسسام الوتي . . تلك الجثث المحفوظة التي رايناها . . وهي التي تحترق كالشمع . !!

وكان نور الاضاءة قد اعد . . وجاء الراقصون . كان هنساك حوالي مائة رجسل ومائة امرأة . جاءوا

صامتين سيرون في صفين . وادبت الرقصة في سكون تام .. وبدا وكانها رقصة تروى قصة قتل مرعبة! . ولكنى لم أفهمها تماما . كانت كلها قصية بشعبة ردشية !!

ثم رأیت ما بدا و کانه قرد او سیمدان یمشی حول النار ، ثم جاء اسد ، ثم قطعان من الماشية وصفوف من الظبيان وحيوانات النهر وثعبان كبير وكان كل هؤلاء بشرا . يرتدون جلود الحيوان . ولما اجتمع جمعهم بداوا يرقصون ويحدثون اصواتهم الحيوانية المختلفة ..

وسيألت « عائشية » عما اذا كان بمكنني أن أذهب أنا و « ليو » نتمشى قليلًا حتى نستطيع أن نرى الحيوانات عن قرب ...

وبدانا ندور من جهة اليسار . .

ولاحظت أن احدى الراقصات كانت ليؤة خفيفة الحركة نشيطة قد فصلت نفسها عن الراقصين وفجاة أخلت هذه الراقصة تجرى أمامنا فى الظلام البعيدة . وعندما مرت بنا سمعنا كلمة «تعال!» . . . وكان هلذا صوت « أوستين » . . !

واستدار « ليو » على الفور وتبعها ، وسرت انا وراءه وقسد اثلج اطرافي خسوف شسديد من هسلاا الاجتماع !!

وسمعتها تهمس: يا للسماء . . ! اسمع . . انى اعيش فى خطر على حياتى من هذه _ التى _ يجب أن تطاع . . الم يخبرك « السحدان » كيف طردتنى ؟ لقد انقذت حياتك مرة . . وانت لن تتركنى الآن وتتخلى عنى !!

فقال (ليو)) على الغور : كلا . . طبعا !

ـ هناك شيء واحد نفعله . يجب أن نهرب !! خلال الأرض المنخفضة !! يجب أن نهرب بسرعة !! بل أنها ربما تسمع الآن أصواتنا !!

وألقت نفسها بين ذراعيه ، فسقط عنها رأس اللبؤة ، ورأيت أنا العلامات ، علامات الاصبع البيضاء على شعر رأسها الملتمع في ضوء النار ثم سمعت ضحكة صغيرة وراءنا . .

كانت « هى » . . ومعهـا « بـــــــــــال » ، . وخادمان . !!

(۲٤) السيحر ٠

ساد سکون مخیف ..

وقالت ((عائشة)) اخيا: « اوستين » ما كان لى أن الحظك لولا اننى رايت تلك العلامات البيضاء على شعرك!

وأبدت اشارة فجاء الخادمان وأمسكا بالفتاة

من كل ذراع . وقفز « ليو » الى الأمام والقى بواحد من الرجلين الى الأرض . .

ـ لقد احسنت القاء ذلك الرجل . ولكن دع الرجل الآن يفعل ما امرته به . . لن يحسدث أذى بالفتاة على الاطلاق . . أن هواء الليل بارد وسيحملها الى غرفتى . .

وذهبنا الى غرفة « عائشة » وامرت « جوب » و « بلال » ان يذهبا ، واستدارت الى وقالت : اكان هذا من عملك ؟

قـلت: لا ٠٠٠

قيالت: واذن فالخطأ خطاها . الديك شيء تقولينه يا امراة ؟

ورن صوت « أوستين » غنيا واضحا ..

وقالت: لست ملكة ولا سحر لدى . . ولكن قلب المرأة يمكن أن يعرف . . وهناك أيضا ضسوء

الحق . عندما عرفت سيدى لأول مرة عرفت ال الموت سيكون ثمن حبى ، ولكن حبى كان اقوى من الموت . وانا على حافة الموت ، اعلم النك لن تكسبى شيئا على الاطلاق بقتلى . . انه رجلى ، رجلى ، رجلى دائماً . . وإن ينظر البك فى عينيك أبدا وبدعوك زوحته . ان نهايتك قريبة .

يومض داخل نفسى وبهذا الضوء فانى استطيع ان ارى

وكانت هناك صرخة فزع وغضب ، لقد نهضت « عائشة » ومدت ذراعها نحو « اوستين » ونظرت اليها . . وعندما نظرت بدت عيناها كانها نار !! ووضعت « اوستين » يديها على راسها واطلقت صرخة واحدة وسقطت الى الخلف هاوية على الأدض . واسرعت اليها أنا و « ليو » ولكنها كانت ميتة . . !

انی اری ۱۰۰

وقف « ليو » واستدار نحو « عائشة » . . كانت قد رفعت النقلب عن وجهها . وثبتت عينيها اللامعتين المميتين عليه . . وزال الغضب من وجهه . . ووقف

هناك كانه تحول حجرا . . ورأيت قوة سحرها تسيطر على ذهنه ، وجمالها يجلب منه قلبه ورأيته يناضل ويستدير كانه سيهرب ، ولكن عينيها أمسكتا به .

وبدأت تفنى بصوت خفيض . .

وجاء اثنان من الخدم بسرعة الى الغرفة وحملا جثة « أوستين » الى الخارج ..

(٢٥) الميت والحي يلتقيان

واستيقظت كأنى كنت في حلم .. لقد توقفت « عائشة » عن الفناء ..

تحركت « عائشة » واعطت « ليو » مصباحا . . وتبعناها . . وقادت الطريق هابطة من سلم ، وكان السلم شديد التآكل .

قالت: لقد أبلى وقع خطواتى ، طيلة الفى عام ، هذا الصخر!

وذهبنا بطول ممر وجئنا الى سستار لم اكن قد رايته قبل الآن . . وقالت :

ـ لقد رقدت هنا ، ليلة بعد ليلة ، منذ ذلك اليوم . . هنا حيث يرقد . تعال يا من أملكه وانظر الى هذا الشيء الرائع . . انظر نفسك يا «كاليكريتس» كما يراقبتك كل هذه الأعوام !

وجذبت القماش عن الهيكل الراقد على الصخر البارد .

- انظر كيف يلتقى الحي مع الميت .. !!

وامامنا رقد لابسا الأبيض ومحفوظا حفظا كاملا ما بدا لنا أنه جسم « ليوفينسي » ونظرت أنا الى « ليو » ، واقفا هناك حيا و « ليو » راقدا هناك ميتا ، ولم استطع أن أرى اختلافا . . ! قسالت: انتظر . . ان عملى الشرير لا ينبغى ان يخفى عنك افتح الفطاء فوق الصدر يا « هوللي » !

وازحت القماش جانبا . وهناك ، فوق القلب ، كان يظهر اثر من جرح حربة .. وقالت ((عائشة)):

س لقد قتلتك . . وكان ذلك في « مكان الحياة » بسبب المراة المصرية « أمينارتاس » . . ولكن هسله الجشسة الباردة الآن ليسبت الا ذكرى . . لقسد انتهى عملهسا . .

وأخلت جرة كبيرة من رف على . ونزعت العظاء وقبلت الوجه البارد . ثم صبت السائل من الجرة فوق الجسم . وصعد دخان كثيف فملا الكهف كله حتى لم نستطع أن نرى شيئا . وعندما تفرقت السحب أخيرا وذهبت بعيدا عن المكان الذى كانت فيه الحثة رأينا فقط كومة من الرماد الأبيض !

قالت: الآن اتركنى ونم لأننا سيكون علينا أن نذهب عند المساء في رحلة طويلة .

ولست ادری کیف وصلنا الی غرفتنا . . وعندما وصلنا سقط هو علی سربره وکاد یبکی . .

وقسال: لم أكن مستطيعا أن أمضى . . ولم أكن مستطيعا أن أتركها . . قدماى لم تستطيعا حملى ، وكان ذهنى صافيا وكنت أكرهها داخل عقلى ، أو على الأقسل فانى اظن أن الأمر هسكذا . ولكنى أعلم أنى سأفعلها غدا مرة ثانية . وأنا وأقع فى قبضتها الى الأسد!

وأنا أيضا رأيت « عائشة » بلا قناع . ولم أدر بماذا أجيب . . وأعلم أن ما قاله كان صادقا . .

(٢٦) خطة عائشة

فى اليوم التسالى ذهبت أنا و « ليو » فى جولة طويلة ، فشاهدت شعب الأحجار يعملون فى الحقول... كان البعض يلقون البذور من اجولة معلقة على اكتافهم، كما كان الرجال فى انجلترا يفعلون منذ مئات السنين، لقد كان امرا مريحا للنفس أن يرى المرء مجموعة من

الناس البسطاء يغعلون اشسياء بسيطة . وتكلمنا قليسلا .

وبعد تنساول وجبتنا خرجت وسرت من جديد وعندما عدنا قابلنا « بلال » وامرنا أن نذهب لرؤيتها.

وعندما انصرف الخدم طلبت الينا « عائشة » ان نجلس ثم قبالت:

ـ يا كاليكريتس ، قبل أن نصبح رجلا وزوجته يجب أن تصبح مثلي : بلا موت !!

وعجبت ماذا سيحدث بعد هذا .. واستمرت ((عائشة)) قاتلة :

ـ سنبدا هذا المساء قبل غروب الشمس . . وبليل الفد سنكون قد وصلنا « مكان الحياة » . . وهناك ستستحم في النار وتخرج منها كما لم يخرح رجل من قبل أبدا . . !

ولم استطع أن أسمع ماذا أجاب « ليو » على هذا المشروع المشير ومضت فقالت :

ـ وأنت يا ٥ هُولَى » .. لقد اسعدت قـلبي باعمالك ولذلك فسوف تجيء معنا .. ا

لم يكون بى رغبة أن أجعل حياتى أطول مما أعدته الطبيعة ولكنى لم أقل شيئًا . وساد بعض الصمت ثم سالت:

۔۔ قل لی یا کالیکریٹس کیف حدث آنك جئت تبحث عنی أ

فاخبرها بقصة الصندوق الحديدى وما فيه من كتابة ..

وعندما انتهى سسالت « هي » : واذن فان « امينارتاس » التى كرهتنى هذه الكراهية كانت هى في النهاية ، مسبب مجيئك الى هنا . والآن اخبرنى عن بلادك انك طبعا تحب إن تعود اليها . فانى لا اعنى أن عليك أن تعيش في كهوف « كور » الى الأبد وانه ليسعدنى أن تتركها . . ستحكم انجلترا . . !

_ ولكن لدينا ملك وملكة بالفعل!

فقالت عائشة: هــذا أمر لا يهم فانه يمـكن طردهما أو قتلهما!!

وحاولنا أن نفسر لها أننا نحب ملكنا ومليكسنا وأنه ليست لنا أى رغبة في تدميرهما .. ولكن للا حدوى ..

قسالت: هذا شيء غريب! ملك وملكة يحبهما الشسمب . لقد تغير العسالم كثيرا منذ جئت الى « كور » . انى لا أفهم ما تقول . .

وحاولنا أن نفسر كيف ان بلادنا يحكمها شمينا

وكيف تصوغ قوانينها . . فضحكت وقالت : ــ القانون ! أنا فوق القانون . . والآن اتركوني . .

واستعدوا الرحلة ! وبدا الاجتماع كله كحلم ردىء . وعندما سرت عائدا الى غرفنا جال في خاطري كيف انه يحدث

لو كان بلد على راسه ملك لا يموت أبدا . . أظن ان ذلك يتوقف على مدى ما في هـذا اللك من طيبة أو شر ... !

(۲۷) خسرائب کسور

لم تكن الرحلة لتدوم اكثر من ثلاثة أيام ، لذلك اخذنا ثيابا نظيفة وحملنا بنادقنا . وعند غروب الشسمس ذهبنا الى غرفة. « عائشة » ووجدناها مستعدة تماما . وعند فتحة مدخل الكهف كان هناك في انتظار « عائشة » مقعد وستة رجال ومعهم « بـلال » . أما نحن الآخرون فكان علينا ان نمشى ولم يكن يراقبنا احد ونحن نبدا السير . . واعتقد

أن كل الناس قد أمروا بالابتماد حتى لا يعرف احد اننا قد رحلنا .

ثم قطعنا الطريق عبر الودسان التي كانت مرة قاع بحيرة . وبعد أن ظلنا سائرين حوالي نصف ماعة اقتربنا من خرائب مدينة « كور » القديمة ..

كاثت الشمس تغرب عندما وصلنا المكان وسرنا عبر قنطرة تقودنا الى المدينة .. واذ وقفت على ألجسر نظرت الى اسفل حيث تمتد أميال من الخرائب: منازل الأغنياء الكبرة . . ومنازل الفقراء الصغرة . . والحداثق التي زادت فيها النيات عن طوقها .. والطرقات المتقاطعة . . والميادين المربعة والأسقف التي آلت الى الانهيار . . وكانت الأشاجار والأعشاب الكبيرة قد انبثقت الآن من-بين الأحجار الكبيرة التي مدت فوق الطرقات ، الا أن الرء كان ستطيع أن بتصور شكل ما كانت عليه الشياء . . في ضوء الشمس الأحمر وهي تغرب ..

كان في وسط المدينة بناء جد كبير .. وكانت

حوله عدة أروقة ، الواحد منها داخل الآخر .. كان هذا مكان الآلهــة التى يعبدها شــعب « كور » .. ووقف خدم « عائشة » فى مدخل هذا المبنى المركزى.

وقالت ((عائشة)): يوجد هنا مكان لكم ان تقضوا فيه الليل . ومنذ الفي عام جئت هنا انا وكاليكريتس والمرأة المصرية . . لمل هاذا المنزل قد هوى منذ ذلك الحين .

وصعدت (هى) بضع خطوات فى المر الخارجي ونظرت فيما حولها ثم **قالت : «** انه هنا » !!

وصعدت (هى) الى حجيرات كانت محفورة بداخل الحائط . . ودخلنا . . وتناولت أنا و « ليو » و « جوب » وجبة طعام ، واكلت « عائشة » بعضا من الفاكهة . .

وقالت (عائشة) : لقد أنيت بكم هنا حتى يمكنكم أن تروا القمر يسطع فوق خرائب (كور) . . وعندما تتهياون سنخرج ونشاهد أطلال هملا المكان ونری رب شعب « کور » الذی کانسوا یعبدونه فیما مضی .

ومردنا فى بهو بعد بهو . . اخد كل منا بهمس الى الآخر . . وسط السكون ، بين قاعات بلا اسقف وامام نوافذ عالية يضيؤها القمر . . وسقط الفسوء الأبيض على السكون المنقطع الأنفاس لا يقطمه الا صوت خطواتنا . . ودقيقة بعد دقيقة ظلت الأشباح الصامتة تتحرك عبر الأفنية التى نمت فيها الحشائش . .

قالت ((عائشة)) اخيرا : تعالوا وساريكم اعظم دوعة في المكان . . ساريكم الربة التي عبدها شميمب (كور »!

ودخلنا الى اقصى الأفنية فى الداخل وفى وسطه كان مربع كبير من الصخر وفوقه كرة من حجر اسود عرضها عشرون قدما . . وينهض فوق الحائط تمثال يصور امرأة ذات اجنحة منبسطة مصنوعة من الحجر

الأبيض الصافى . . كانت ذراعاها ممدودتين وعيناها عليهما نقلب .

سالت: من هن ؟

قالت ((عائشة)) : الا تستطيع أن تخبن ؟

وقادت جماعتنا الى قدم التمثال وقرأت الكتابة الحفورة في الصغرة:

اجلب النقاب وانظر الى الحق . . وجها لوجه ولكن الوت نفسه . .

هو الذي يمكنه أن يجلب النقاب ..

وقالت ((عائشة)) : كان الحق هو الهـــة شـعب (كور) !

(۲۸) داخل جبل النار

فى اليوم التالى استيقظ الخدم قبل أن يظهر ضوء النهاد ، ووجدنا لا عائشة » مغطاة بمعطف داكن اللون ، تنتظرنا فى الخدارج ولاحظت أنها بدت أكثر حزنا وقلقا . .

سالها « ليو » : هل نمت حيدا ؟

قسالت ((هي)): يا كاليكرايتس لقسد دهمتنى احلام رديشة ولست ادرى ماذا تعنى هسفه الأحلام . . ولكن كيف يمسنى أى شر أ أنى اسساءل . . اذا ما حدث لى شيء اتراك تفكر في برقة . . ؟

ولم تنتظر اجابة .. وسريعاً ما تركنا المدينة المخربة وراءنا .. وعند منتصف نهار اليوم توقفنا لراحة قصيرة وتناول وجبة طعام .. وفي الساعة الثانية كنا عند سفع جدار عال من الصخرة ينهض حوالي الف وخمسمائة قدم .

قالت ((عائشة)): ان الناس يسمون هذا المكان جبل النار .. ولكن أحدا لا يجرو أبدا على الاقتراب منه ونحن نترك الخدم هنا .. وانت يا « بلال » امكث معهم .. ولك أن تنتظر تحت هذه الأشجار هناك .. ونعن سنعود الى هنا غدا عند الظهر .. واذا لم نحضر فعليك أن تنتظر .

وأشارت هي الى « جوب » وقالت : هذا

الرجل من الأفضل أن ينتظر . . الا أذا كانت لديه الشجاعة الفائقة . . أن أسرار المكان الذي سنذهب

اليه ليست للأعين المادية .

قال « جوب » عندما سمع هذا : لا استطيع ان ارى الآن ابشع مما رايت .. ولا أحب أن تتركوني هنا مع هؤلاء الناس الذين لا يستطيعون أن يقولوا كلمة .. وقد يضعون القدر على رأسي .. أني أفضل أن آتي معكم !

فسالت ((عائشسة)) عندما اخبرتها باجاسة ((جوب)) : حسنا . . دءوه ياتي ! . . دءوه يحمسل اللوح الخشيي !

واشارت الى لوح خشبى يبلغ طوله خمسة عشر قدما قد ثبت فى المقمد الذى حملت فيه « عائشة » . . حمل « ليو » الطمام والشراب وحملت انا المسابيح وكذلك وعساء الزيت . . وذهب « بلال » والخدم . .

واستدارت « عائشة » ونظرت الى التل ..

LILLA

وظت انا: يا 4 .. انحن داهبون لنصمد

وتقدمت (هائسة ») قانزة من صخرة الى معفرة بخفة رائمة ورشاقة كبيرة) ونعن طبعا كن طيئا أن نتبع وأن نساعد (جوب » وهو يحمل لوحه ويعفى ه.

وسريعا ما وصسلنا الى رف ضيق من الصخر وكان يزداد سعة عندما سرنا فيه . . الا أن طرف المخادجي أصبح أعلى وأعلى وفجاة أنتهى هسلا المعر في كهف ألى اليمين . . وكان كهفا طبيعيا ودبعا كان نتيجة أنفجار غازى كبي . .

أمرتنى « عائشة » أن أشسط المصباحين وأن المطيها أحدهما ، ثم قادت الطريق هابطة ألى الكهف متخيرة الطريق بحرص شديد . . فقد كانت هنساك أحجار كبيرة وفتحسات يمكن الواحد أن يدق فيهسا منقسة .

ومضينا قدما في هذا الطريق لمشرين دقيقة

ار اكثر ثم وقفنا .. وإذ حاولت.أن انظر أمامي في ا الظلام هبت ربع قوية وأطفات المسباحين!

نادت علينا « عائشة » ، وتحسسنا طريقنا الى الأمام وراينا امامنا شسقا كبيرا فى الصخور . . كان ضوء النهار يضيئها اضاءة ضعيفة من أعلى ، وسقطت الصخرة بعيدا هابطة فى الطلام ولم نستطع أن نرى الجانب الآخر من العتمة . . ولكن انزلقت الصخرة التى كنا واقفين فوقها إلى الأمام حتى نقطسة بالفة الضيق فى مقدمتها . . كنقطة سن القلم !

قالت ((عائشة)): اتخلوا الحلر !! لا تنظروا الى اسفل او تتركوا الربع تقتلمكم فان هسلا المكان

لا فاع له !!

وبدات تسير بحداء النقطة النهائية المستدفسة
تاركسة ابانا نتيمها وكنسا اول العابرين لها ٥٠٠ وكان
« جوب » وراثم يشد اللوح على الأرض و * ليو »
في النهاية ٥٠٠ وقبل أن امضى بنسسع ياردات وجسلت
ان من الأفضل أن امسير موتكزا على بدى وركبتى ٥٠٠

وفعل الباقون مثلى .. وقسام « ليو » بمساعدة « جوب » في جر اللوح . ولكن « عائشة » نهضت واقفة ضاغطة جسمها ضد الربع . وبدت لا تشعر بخوف ابدا ..

وسرنا عشرين باردة ازاء الجسر الزهيب ..
و فجاة هبت ربع قوية مندفعة الى الكهف . ورايت
« عائشة » تقف ثابتة ضدها وفي مواجهتها .. ولكنها
خلعت معطفها وعرضته الربح العاتية التي حطته
بعيدا كطائر لا حول له ولا قوة . وامسكت أنا بالصخرة
التي بدت تهتز من تحتى .. وهناك ركعنا ، بين
الأرض والسماء ولا شيء تحتها مسوى الخيلاء ..
بينما اندفعت الربح القوية من فوقنا بسجب دخانية
مندفعة لازلت احلم بها واستيقظ من نومي والرعب

صرخت ه عائشة » وهي واقفة الآن مثل روح بيضاء امامت وقائم : اماما !! اماما !! او انكم متسقطون وتتقطعون قطعا . . ! . . ابقوا اعينكم علي الأرض وامسكوا جيدا بالصخر !!

(29) العجسر المتسارجح

وهكذا ذهبنا مسافة لا أدرى كم كان طولها حتى جننا أخيرا ألى أبعد نقطة من الصخر . وهناك بقينا مسكين بأصابعنا في الأرض بينما وقفت « عائشة » وشعرها يتطاير في موأجهة الربح . والآن رأيت لماذا أخذنا معنا اللوح الخشبي . .

كان امامنا مكان خال ، وعلى الجانب الآخر شيء لم اتمكن من رؤيته . .

فالت ((عائسة)): يجب أن ننتظر فسريسا ما سيطلم الضوء!

لم استطع أن اتصـور ماذا تعنى فكيف يسكون هناك ضوء في هذا الكان السفلي المظلم ؟

وبينما كنت لا ازال افكر في هذا الأمر واذا بسيف كبير من ضوء الشمس الفاربة يومض خلال الطلمة الى هذه النقطة من الصخرة . وأضاء هذا النور الذهبي « عائشة » كمها بكل جمالها وروعتها . .

انه هذا الشعاع من الفسوء هو الذي كانت تنتظره « عائشة » . . لقد دبرت اننا ينبغى ان نصل في الوقت المناسب - ورايت على بعد اثنى عشر قد ا من الصخرة ، على الجزء الآخر ، حجرا شبه بيضاوى، طوله عشرون أو ثلاثون قسدما واقعا على ابرة من الصخر قائما بارزا في الظلام . . واذ هبت الربع رايتها تهب اماما وخلفا ؛ وهسكذا بالضبط رتبت بحيث اشتقت أن تهب هبة ربح أقوى قد تستطيع أن تلقى بها وتسقطها ...

وقسالت « عَالَشة » : هيسا سريسا احضروا الوح . . يجب أن نعبر بينما الضوء قائم باق .

قال « جوب » وهو يدفع اللوح امامه : ياله . . انها طبعا لا تعنى ان نمشى هناك فوق ذلك الشيء . .

دفعت (عائشة) باللوح تخرجه بعيث استقر طرف منه على الحجر البيضاوي الشمكل) والطرف الإخر على نقطتنا من الصخر ..

وقسالت: منذ كنت هنا اخيرا فان هذه الصخرة لا تبقى ثابتة ولذلك فانى غير متاكدة أنها سنتحمل وزننا ولذلك فسأذهب أولا . . !

وجرت بخفة عبر الجسر وقالت هي من قطرف الأخر : انها آمنية . سائف ، سائف عنيد الطرف

القصى بحيث لا يستدير الحجر تحت وزنكم . والآن تعال يا « هوالي » ان الضوء سريعا ما يزول . .

مكانا لكاليكو ى . . والآن أعط مكانا لكاليكو يتسى !

وقلت لنفسى: انى لأفضل ان اسقط هنا حتى لا تضحك منى عائشة!

وشعرت باللوح يكاد يضعف تحت وزنى . وانا كثيرا ما كنت اكره الم تفعات . . وبدا أن عينى تتحولان الى سسواد وظلمة . . وشعرت بالبرودة تسرى فى كل اتحاء جسمى . وبدأت قدماى وذراعاى يتحركان دون ارادة منى . واخيرا وجدت نفسى نائما على الصخر اللى كان يتارجح تحتى مثل قارب فى بحر عاصف!

وجساه (ليو) جاريا عبر الجسر كمسا لو.كان



كانت الصغرة تتارجح تحتى ٠٠ ٧.٧

يعثى على الحبال ، ومدت ﴿ عائشية ﴿ يَعْمَا لَهُ وقيالت : هذا عبل شجاع ا

وكان « جـوب » الآن على يديه وركبتيه في الناحية الأخرى من اللوح وقال: لا أجسر أن أفعل هـذا!

وصحت به: تمسال با (جوب) . . لو بقيت هناك ستموت وحدك فان الضوء يتلاشى . .

وقبا ﴿ لَيُو ﴾ : تمال يا ﴿ جوبِ ﴾ . . انه امر بسيط جدا !

وجلب نفسه معتمدا على يديه وكانت رجيلاه متملقتين بكل طرف من اللوح وعنسدما وصسل الن المتعمدة دهب الفسسوء وصرخت قائسلا: تعسال يا لا جوب الم

وكان الحجر الذي رقدت عليه يتأرجح ويتأرجح بحيث اصبح من الصعب تثبيته وهتف « جوب » من الظلام: يارب . . رحمتك !! . . ان اللوح سيسقط !

وفى هذه اللحظة سمعت اللوح يسقط ضاربا الحائط الصخرى في طريق سقوطه!

وتساعلت قائلا: كيف سنعود أذن . . ؟ !

وقال « ليو » : لست أدرى . . أنى شاكر أننا هنا سالمن !

(٣٠) نار العياة

قالت ((عائشة)) : اعطني بدك !

وشعرت كأن أحدا يقودنى فوق طرف الحجر.. ومددت رجلى ولكنى لم أشعر بشيء .

فالت: دع نفسك!

لم يعجبنى هــذا . وشعرت بأنى أســقط ثم

استقرت قدمى على أرض صخرية . . وكنت أشعر بالربح تهب من فوقى ولكنى فى النهاية كنت ما أزال فى الهواء الأمر الذى شكرت عليه الله . وسريعا ما جاء « لو » . . .

وقالت « عائشة » : اشعاوا المسابيح!

ورايت اننا كنا فى كهف صغير ، عرضه حوالى عشرة اقدام وكان صقفه هو الحجر المتلاجح ، ورايت لا لي » جالسا على الأرض ووجه « جوب، » الخائف وهو يجلس جانبه و « عائشة » واقفة هناك بهدوء تنتظر اشمال المصابح . .

وقالت: يمكنك أن تبقى هنا بعض الوقت للراحة . لقد كان هسلة المكان منزلا لرجسل حكيم اسمه « نوت » عاش هنا وحيدا وعرف أسرار الطبيعة . اكتشف نار الحياة ، التى ساريكم أياها! وعظامه ترقد هنا . لم يكن ليدخل النار لأنه كما قال أن الانسان يولد ليموت . لقد جنت ألى هذه السلاد قبسل وقت بعيسد ، وأخبرنى بالبير ثم قابلت

 « كاليكريتس » وأحببته وقررت أن أجيء هنا وأن اتلقى نعمة العيش إلى الأبد لكلينا . وعندما جنس رأيت الرجل العجوز ، « نوت » ، مبتا !

وضعت يدى واحسست ، بالتاكيد ، بين أصابعى باحدى الأسسنان وبرأس بلا عيون ترقد قرب يدى اليسرى !!

وقالت: نعم هذا هو كل ما بقى من حكمة « نوت » .. وانت ، يا « كاليكريتس » عنسدما لم تتبعنى الى النار اخذت الحربة التى تحملها وقتلتك . وبكيت لأننى لا اموت بينما تموت انت . هاك! هذا هو الحق !! لم اخف عنك شيئا . قل لى انك تغفر لى ذلك وتغفر لى قتلى لتلك الفتساة التى احبتاك « اوستين » لأنها عصتنى !

ثم تكلمت ثانية وقالت: ارفع عنى نقابى .. بلا خوف كما لو كنت أنا مجرد فتاة قروية ولست احكم ولا أجمل أمرأة رآها ألعالم .. !!! كأن « ليو » شديد التأثر . لقد ذهب الآن سحر اللكة الغريبة . . فحتى الآن كان واقعا في قبضتها مثل مصغور امسكت به عين ثعبان . الا أن الأمور قد تغيرت الآن . وأدرك أنه الآن يحب هدده المرأة الرائسة الباهر !! ورأيت عينيه تمتلان باللموع . . وأخد يديها وأزاح نقابها جانبا ونظر في عينيها العميقتين ، وقسل :

- « عائشة » . . اني أحبك واني أغفر لك !

ونزلت على ركبتيها وضغطت يده على قلبها .. وقالت بوقة:

- فى هذه اللحظة الأولى والرائعة لحبنا اعدك بانى سسأترك الشر وابحث عن كل ما هو خسي . . وسيرشدنى صوتك فى معر الواجب . . ولن ابحث ابدا عن ان اكون امراة عظيمة وانسا سابحث فقط عن حبك ورعايتك انت الذى عدت الى اخيرا . .

ووقفت واخذت المصباح وفى نهاية الكهف كان هناك درج ، لم يصنعه الانسان وانما كان مجرد قطع من الصخور قامت هنا وهناك ليكون منها درج .. وانتهت إلى ممر بالغ الانحدار . ومضينا أمامنا هابطين هابطين لمدة أكثر من نصف ساعة ... ثم وصلا الى مكان من الضيق بحيث كان علينا أن نمر فيه واحدا بعد الآخر .. ومنه جثنا الى كهف من الكبر بحيث لم نستطيع أن نرى السقف أو الجدران . وعلمنا أنه كان كهفا فقط بصوت خطواتنا وبالهدوء الكامل لما فيه من هواء ثقيل ..

ومضينا امامنا فى سكون وشسبح « عائشسة ، الأبيض يبدو كانها روح ترشدنا .. وجئنا الى كهف ثان امامنا . ثم دخلنا كهفا اصغر من الأول ، وكان فى نهايته معر يخترقه ضوء خافت ..

وقالت: هذا جيد!

واسرعت امامنا على طول المر ، واصبح الضوء اقوى ، ثم اضعف ، ثم أقوى ثانية . . مثل أشسعة قادمة من منار يضرب باشعته ليهسدى السسفن في

البحر . . ومع كل شعاع كنا نسمع صوتا عميقا كانه عاصفة تضرب الصخور !

واستدار المرحول زاوية ركن . . ويا للسماء!!

كان هذا الكهف الثالث حوالي خمسين قدما في الطول وثلاثين قدما في العرض وتفطى ارضه رسال بيضاء . ولم يكن الكهف مظلما مثل بقية الكهوف الأخرى ، وانما كان مليئا بضوء ذى ألوان وردية . وبينما وقفنا فيه نتعجب من إين تأتى اضواؤه حدث شيء غريب وجميل ، فعبر الكهف وبضجيج بدا أنه يهز الأرض والذى ملا قلوبنا خوفا جاء حائط كبير من النيان الملونة المضيئة ذات لمان يفوق الخيال . . وبدت هذه النيان زهاء نصف الدقيقة واهتز الكهف بصوتها. . ثم خبت شيئًا فشيئًا تاركة وراءها وميضها الملون الذى شاهدناه . .

وقالت ((عائشة)): تمالوا هنا . . هذه قلب الحياة وهي تضرب صدر المالم!

وتبعناها خلال الضوء الوردى حتى وقفنا أمام



النسارة ٠٠

المسكان الذي يضرب فيه ذلك القسلب وحيث جاءت النيران . واذ مضينا شعرنا بقوة وحشية رائعة تسرى فينا وهو شعور كنا نحس فيه باننا نقدر أن نفعل كل شيء وأن نجساسر بأى شيء . وشسعرنا في داخلسا ببهجة عالية وبنفس أكثر نبلا مما سبق أن عرفسا قسلا . .

وعاد صوت النيران ودارت حولنا كانها عاصفة.. ثم جاءت النيران المتعددة الألوان .. وهوينا نحن على ركبنا امامها واخفينا وجوهنا .. بينما وقفت « عائشة » مادة ذراعيها نحو الضوء .. !

وعندما ذهبت قالت (هي) :

ــ عندما تأتى النيران ثانية يا كاليكريتس يجب عليك أن تقف في وسطها !

قسال « ليو »: انى اسمعك يا « عائشة » ولكن اتظنين انها لن تدمرنى بحيث انقسد نفسى وانقدك انت ايضا .. ولكنى سأفعل ذلك ! وفكرت « عائشة » لحظة ثم قالت: انه ليس من اللائق أن تخاف ، ولكن هل اذا رايتنى اقف فى النار واخرج منها دون اذى يمسنى الا تدخل انت أ. . ما ساستحم فى حمام الحياة هذا ثانية! . . ولا يمكننى أن أضيف الى طول أيامى او الى جمالى . . ولكنى عندما جئنها أولا فقد امتلأ قلبى بكراهية المصربين . ولأمر الآن مختلف وأنا الآن مليئة بالسعادة والحب . . وربما كانت النار ستفسلنى وتجعلنى نقية نظيفة وأكثر ملاءمة لك!

وسمعنا صوت النيران العائدة من بعيد . . وصرخت (هي) تقول: استعد! استعد!!

(٣١) عائشتة في النسار

وضعت « عائشة » نقابها جانبا واخد شعرها يتطاير حولها .. واتدب العموت ووضعت ذراعيها حول عنق « ليو » وهمست قائلة :

- آه يا حبيبى . . اتراك ستعرف كم أحببتك ؟! كان الصوت كانه ربع عاتية تمرق خلال غابة كاملة ملقية باشجارها ارضا . واقتربت وازداد اقترابها . والآن اخلت اسهم من نار تنفل خلال الهسواء ذى اللون الوردى الأحمر . ثم ظهر طرف النار ، والتفتت « عائشة » نحوها . وجاءت الربح ، وسارت على هيئتها . . وبدت كانها ترفعها بيديها ، وتصبها على راسها كالمياه . . ورايتها كانها « روح النار » . . ولعبت النار على شعرها . . وحول رقتها النار » . . ولعبت النار على شعرها . . وحول رقتها

قد زالت عن شفتيها وحلت محلها الآن نظرة جافسة صارمة .. وبدا الوجه المستدير يصبح حادا قلقا غاضبا.. ثم اخلت العيون تفقد ضياءها والجسم كله يصبح اقل استقامة عن ذي قبل ..

وفركت هينى وظننت أن الضوء اللامع قد جعلنى الربي الأشياء على غير حقيقتها وأن النار الكبيرة قد لينها تراحل الان تاركة (عائشة) واقفة هكذا .

خطت خطوة نحو « ليو » ومدت ذراعيها وكان اللراع رفيما . برزت فيه المظام . . وكان وجهها . . كان وجهها يزداد تقدما في السن اماميني . .

وقسالت: ما الأمر يا كاليكريتس؟ أن النار هنا غريبة بعض الشيء لا أستطيع أن أرى بوضسوح . ورفعت يدها ، ولمست شعرها . ، وسقط شعرها كله على الأرض . . !

وصاح « جوب » : انظر . ! انظر . ! ان وجهها يتغضن ويدبل . . انها تتقدم فى السن سريما سريما . . وهوت الى الأرض بلا احساس .

كان الأمر حقيقيا . . رابت جلدها يتغير لونه . . اصبح لونه اصغر داكنا ترتسم عليه ملايين الخطوط وكان صغيرا لا شكل له . . ونامت رائدة على الأرض تتحرك بضعف وموات . . هي التي كانت منذ دقائق قليلة ابهي وافخر امراة وقعت عليها العين في هسذا العالم كله . . ! ؟

كات تدخل عالم الموت .. ورايسا ذلك كله وشكرنا الله عليه .. ذلك لانها لو كانت بقيت على قيد الحياة فكيف ستكون حياتها .. ؟

ورفعت (هي) نفسها فوق عظام يديها ونظرت حولها بعيون لا ترى . . !

وقسالت: با كالبكريتس . . لا تنسسنى . . واشسفق على فى عارى وفضيحتى . . سسآتى مرة اخرى . . وساكون جميلة مرة ثانية!

وفى نفس الكان الذى قتلت فيه كاليكريتس منذ الفى عام .. سقطت « عائشة » نفسها ميتة . . ! وهويت انا الآخر وصقطت بلا احساس على ومال الكان . .

(٣٢) قفزة من أجل العياة

لست اعرف كم سساعة رقدت هنساك ، ربمبا ساعات عديدة .. وفي النهاسة فتحت عيني ورأيت الاثنين الآخرين يرقدان على الأرض . وقفت واخلت القناع ووضعته على تلك التي كانت في يوم من الأيام « عائشسة » . .

ذهبت الى « جوب » وكان مستلقيا على وجهسه

وقلبته وسقطت راسه الى الخلف بشكل لم يبد لى طبيعيا . • ونظرت اليه : كان ميتا !! وأخيرا وقف « ليو » . .

ثم رأيت شيئا آخر رهيبا . . كان شعره أبيض في بياض الثلج وقد كبر عشرين عاما . .

قلت أن ﴿ جُوبِ ﴾ ميت .. أوه !!! ببدو أن ذهنه أبي أن يتلقى وقع هذا الحدث !!!

ذهبت ومالات المسابيع بالزبت من الأوعية التي جليناها معنا ..

وفى النهاية وقف « ليو » ثم ذهب الى « جوب » ولمس يده . . واخذ بضع شمرات من راس « عائشة » وضمها الى شفتيه وهمس لنفسه : لقد هتفت بى الا انساها . . سأنتظرك كما انتظرتنى !

وجدنا طريقنسا بلا مشقة للعودة بين الكهوف

بلا مشقة . . فقد حرصت على ملاحظة الممر جيدا . . وسكننا جميعا ولم يتكلم احد منا اثناء العودة . .

وأخيرا جنسا الى الصخرة المتارجحة . كان اللوح قد اختفى ولم يكن هناك غير طريق واحد يمكن أن نقطعه ونعيره . . ووجب علينا هنا ان نقفز نوقه . .

لم اعرف ماذا كانت الساعة الآن فلقد توقفت سساعتى ورجسوت أن يسكون الوفت قسد قرب من الفروب .. ورجوت أيضا أن يعود شسعاع الشمس الفارية .. وجلسنا ننتظر دون أن نعرف ما أذا كان سياتي ذلك الضوء ومتى ..

وبعد بضع ساعات انبثق خلال الظلام سيف من شماع احمر .. وقالت : ساذهب أنا أولا وتجلس انت على الطرف الآخر من الحجر لتحتفظ به ثابتا ..

وبعد ذلك فعلت شيئًا لم افعله منذ كان « ليو » صبيا صغيرا . . وضعت ذراعي حوله وقبلته . وقيلت: وداعا . . وامل أن نلتقي ثانية ! ثم عدت الى ابعد ما استطعت الاحصال على اكبر مسافة تسمع لى بالجرى وانتظرت حتى جاءت هبة من تلك الربع .. وكان أمالى فى العبور انها ستساعدنى ..

ثم علمت ، وانا فى وسط الهواء انى قد قفزت قفزة ناقصة . . ان يدى وجسمى فقط قد وصلا الى الأرض ونقيت رحلاى فى الهواء!

ثم سمعت صرخة .. ورأيت « ليو » وسط الهواء .. ومر جسمه سريعا من فوقى ..! وكانت قفزته رائعة حقا .. ولقد حققها مدفوعا بالخوف وبما بدا من فقدان الأمل فى المحاولة .. وقذف بنفسه الى الصخرة حتى وصسل الى ومد ذراعه نحوى وسمعت قرقعة عظامه وهو يشدنى نحوه بقوة رائعة شابة .. ورفعنى رفعا حتى استطعت ان اعبر بامان



وجسدبني الى أعلى ٠٠

الى سطح السخرة . . وكنا قد تركنا مصابيحنا وراءنا طبعا ، وكان علينا الآن أن نتحسس طريقنا في الظلام . ولم تكن قد اكنا شيئا أو شربنا ساء عدة ساعات وكنا نشعر بالضعف لذلك . .

ورقدنا على الأرض ثم رحنا في النوم للدة .. ولست ادرى متى ؟! ثم سرنا متحسسين طريقنا قدما بقدم ويوصة ببوصة ..!!

واخيرا عندما فقدنا الأمل تقريبا رأينا بياضما خافتا أمامنا . . وعندما خرجنا من الكوخ كان الصباح المبكر قد طلع . .

قسات: استمريا « ليو » . ، واملنا الايكور « بلال » قد جاء!

وبينما كنا نأخذ طريقنا على أبدينا وركبنسا فوق ٢٣٠ الصخور (ذلك أننا كنا أضعف من أن نشد قامتنا وقوفا) رآنا أحد الخدم وجرى عائدا الى الأشجار . .

ورایت « بلال » یجری مهرولا نحونا ..

وصرح قاقلا: يابنى ..! .. والأسهد ..! ان شعره أبيض .. ولكن أين الآخر أ .. وأين هذه التي ــ يجب ــ أن تطاع ..؟

أجبته: ماتت . . كلاهما مات . . !!

(22) رحسلة العسودة

عندما استيقظت رايت « بلال » جالسا الى سريرى . وكنت فى كوخ جهزه خدم « عائشة » من اغصان الأشجار . وفى الناحية الأخرى من الكوخ رايت « ليو » لايزال نائما وكان شمره جد أبيض وقد تشققت نداعه وجرح وجهة بفعل الصخور . . وأغلقت عينى مرة ثانية . .

قال « بالال » : لقد نمت نوما طويلا !

فسسالته: كم كان طويلا ؟

فلجماب: يوما وليلة . اخبرني ماذا حدث ؟

لم أخبر « بلال » بكل شيء ولكنى انباته بكل ما هو ضرورى وكنت استطيع أن أرى أنه لم يصدق أن (هي) قد ماتت . . ومع ذلك فقد قال « بلال » :

۔ لقد قررت بحکمتها أن تتركنا مدة من الوقت . ولقد حدث مرة ، أثناء زمن إلى أن غابت أثنى عشر عاما ، كها قبل الفسا أنها غابت كذلك أربعين عاما ، منذ زمن طويل . . ثم عادت وقضبت على امرأة أخرى كانت قد احتلت مكانتها كملكة تحكم شمينا . .

ولم اقل شيئا . . وواصل « بلال » حبيثه :

م والآن ربما تريد أن تفادر هذه البلاد ؟ ... لقد سمعت أن وراء الوادى الكبير .. وبعد رحلة تستفرق ثلاثة أيام عبر الأراضى الواطئة .. ثم صبعة أيام بعد ذلك تجد بعدها نهرا كبيرا . لقد انقلت حياتي مرة عندما سقطت في الماء . . وأنا الآن قادر على معاونتك ولكن انظر . . ! أن الأسسد يستيقظ الآن . . بجب أن تأكل الطعام الذي أعددته لك !

وظل « بلال » غائبا طيلة اليوم التالى يعد تجهيز الرجال ليحملونا والمرشدين ليهدونا الطريق وقال: :

- انى ساتى معكم لأنى لا أنق بهؤلاء الرجال . . ا ولن أقول شيئا عن هذه الرحلة . وسرنا خلال الأرض الواطئة وجئنا فى النهاية الى واد مفتوح خال من الأشجار وليس فيه علامات على مساكن الناس . كان على « بلال » أن يعود . . وقال :

.. وداعا أيها « السعدان » . . ووداعا أيها الأسلد . . لا استطبع الآن أن أفعل المزيد لكم . . ماذكركم كثيرا . . !

وعاد ووقفنا نراقب صف الرجال وهم يعودون حتى غابوا عن الأنظار . . واخيرا وصلنا الى قرية صغيرة ، وكان الناس فيها ذوى مودة ، وساعدونا اثناء الطريق . . وهكذا جننا اخيرا الى زامبيزى ووصلنا خليج « ديلاجوا » حيث وجدنا سفينة نقلتنا الى الجلترا . .

وليست هذه هى نهاية القصة . القصة التى بدات منذ الفي عام . ولابد أن تصل أيضا الى الأعوام التى ستجىء . وكثيرا ما أجلس ليلا وأحاول أن أنظر في ظلام الزمن الذي لم يولد . وأتساءل أين وكيف سيمضى هذا الزمن . . ؟ !!

فهرس

سفحة	الموضوع الع
٩	مقدمة
۱۳	١ ـ كيف وصلتنى هذه القصة
19	٢ ـ كيف جاء الصندوق الحديدى إلى هوللى
44	٣ ـ ليو . يكبر وينمو
٣٣	٤ ـ فتح الصندوق الحديدى
٤٥	٥ ـ عاصفة في البحر
٥٧	٦ ـ بعض الصدق في القصة
77	٧۔ صعوبا مع النهر
۷٥	٨ ـ شعب الأحجار
44	٩ ـ الراحة في الكهف،
78	١٠ _ الأيام الأبعة الأولى
90	١١ ـ معركة في الكهف
1.5	١٢ ـ يعد المعركة

1.9	١٣ ـ الرحلة إلى كور
110	۱٤_ مسكن دهيء
175	١٥ مي، . تريد رؤيتك
177	١٦ ـ وحيدا مع الملكة
۱۳۱	١٧ـ عائشة ترفع الحجاب
181	١٨۔ لعنة عائشة
١٤٧	١٩ـ حكم عائشة
101	٢٠ـ كهوف الموتى
109	٢١ ـ عائشة وليو
170	٢٢ ـ اذهبي يا امرأة
171	٢٣ ـ حفلة الرقص
179	٢٤ ـ السحر
۱۸۳	٢٥ ـ الميت والحي يلتقيان
147	٢٦ ـ خطة عائشة
191	۲۷ ـ خرائب كور
197	۲۸ ـ داخل جبل النار
۲۰۳	٢٩ ـ المجر المتأرجح

711	٢٠ـ نار الحياة
	٣١_ عائشة في النار
	٣٢ ـ قفزة من أجل الحياة
777	٣٣ ـ رحلة العودة